براهمة بلوزاع

نظرة على الجزائر

بين 1947 و1962

من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية

(الزهرة، الأسبوع، الصباح: نموذجا)



براهمة بلوزاع

نظرة على الجزائر

بين 1947 و1962 من خلال كتابات

الجزائريين في الصحافة التونسية

(الزهرة، الأسبوع، الصباح: نموذجا)



بسم الله الرحمن الرحيم

السلسلة :
الكتاب: : نظرة على الجزائريين 1947 و1962 من خلال كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية
المؤلف: براهمة بلوزاع
الموضوع: تاريخ
رقم الإيداع القانوني: 2012-3054
ردمك : 0 -23-888-9947-978
الناشر: دار كوكب العلوم
عدد الصفحات: 224
سنة الطبع: 2015
بلد الطباعة: الجزائر
الطبعة: الأولى



دار كوكب العلوم

المقدمة :

كانت تونس منذ أزمنة طويلة بوابة الجزائر نحو المشرق العربي فكانت كل التأثيرات تختمر في تونس قبل أن تصل للجزائر، وهي أيضا المعبر الحتمي لغزو الجزائر بالنسبة للقادمين من المشرق.

لم تنقطع الاتصالات بين الجزائر وتونس في يوم من الأيام، ليتأثر ويؤثر أحد البلدين في الآخر سواء بالإيجاب أو السلب. وازدادت هذه العلاقات بعد ابتلاء الجارين بداء الاستعمار وإن كان في لباسين مختلفين. لقد وجد الجزائريون ملاذا آمنا في تونس طيلة فترة الاحتلال الفرنسي، فقامت بالواجب نحو إخوانها المرزوئين في أموالهم وأرزاقهم وأملاكهم بل وفي كل عزيز عليهم ليعيشوا هناك في كنفها. وقد رد لها الجزائريون الجميل بالمشاركة معها في مكافحة الاستعمار، فتداخل الكفاح وأي البلدين كان أسرع للتخلص من نير الاستعمار، عاد ذلك بالفائدة على البلد الآخر.

تكثفت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى هجرات جديدة إلى تونس، ليست كسابقتها، هجرة نهائية، بل هي هجرة مؤقتة لطلب العلم بجامع الزيتونة ثم العودة إلى الجزائر للمشاركة في نهضتها بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

يكتشف الجزائريون في تونس بأنها توفر لهم سلاحا خطيرا عليهم استعماله في محاربة الاستعمار بطريقة أو بأخرى ألا وهو سلاح الصحافة؛ فقد كانت القيود الموجودة في تونس أخف من تلك الموجودة في الجزائر،

وإصدار جريدة عربية في الجزائر مغامرة محكوم عليها بالفشل مسبقا[1]، فكتب الجزائريون في الصحافة التونسية، وكان لهم وعليهم أن يكتبوا ليُسمِعوا صوتهم.

لقد حفظت لنا الصحافة التونسية كنزا ثمينا، وكما مهولا من المعلومات عن الجزائر بأقلام أبنائها، خلافا لما كتبه غيرهم عنها.

لقد كانت النية متجهة في البداية إلى دراسة هذه الكتابات عامة ابتداء من عام 1945، ومن خلال كل الصحف التونسية. إلا انه بمجرد بداية الخوضفي هذا الموضوع تبيّن لنا استحالة ذلك من عائقين قاتلين، أولهما مادي يتمثل في نقص ورق الطباعة وثانيهما إداري ممثلا في الرقابة، فورق الصحف كان يخضع للتقنين والحصص الموجهة للصحف التونسية قليلة جدا، حدت بأغلب الصحف أن تصدر بورقة واحدة، لا تكفي للمادة التي بحوزة إدارة الصحيفة مما يجعل مراسلات القراء هي الضحية عند المفاضلة لأولويات النشر، وحتى هذه الوريقة فعل فيها مقص الرقابة فعلته، وهذا النص لعمر ابن قفصية [2] شاهد على الاعتداء الفاضح على حرية التعبير يقول: "... كانت الصحافة التونسية تقاسي أشدّ أنواع الضغط [خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية]، فهي فضلا عما تتحمله من تشذيب الرقيب بقلمه الأحمر تجبر على أن تسدّ ذلك الفراغ الذي يحدثه وتسوّد ذلك البياض الذي يتركه بصفحات الجريدة بمواضع أخرى تمر على الرقابة مرة ثانية،

[1] فتى الجزائر، "لماذا ؟"، الزهرة، 01 افريل 1951، ص 04.
[2] عمر ابن قفصية، اضواء على الصحافة التونسية، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972، ص ص 43-44.

ويمكن أن تحذف منها وتشذب ثم يكون الصحافي مجبورا على سدّ الفراغ الجديد إلى أن وقع إضراب عام 1946 لمدة شهور انتهى بأن برزت الصحف العربية من جديد وبها من المناظر بين الأبيض الناصع وبين السطور المصطفة ما يضحك الثكلى ويدعو للعجب والغرابة من عقل وتفكير تلك الرقابة..." أما إذا كان المقال يخص الجزائر فإن الرقيب يستنفر كل قواه لمنع أي إشارة تجرح الوجود الفرنسي بالجزائر. ووصل به الأمر إلى أن يعمل مقصه في أحاديث لمصالي الحاج مترجمة عن جرائد فرنسية، فربما ظهر المقال بجزء من مقدمته فقط وحتى جزء من عنوانه، لذا لم يكن متوقعا أن نجد شيئا ذو بال يفيدنا في تأليفنا.

استمر الأمر على حاله إلى غاية مجيء المقيم العام جون مونص Jean MONS سنة 1947، بقصد التخفيف من الجو المشحون الذي كانت تعيش على وقعه تونس. وكان رفع الرقابة عن الصحف، من بين الإجراءات التي قوبلت باستحسان كبير، بدأ بعدها الجزائريون يعيدون صلاتهم القوية بالصحافة التونسية بعد الانقطاع القسري فترة الحرب وما تلاها.

- ثانيا لقد اقتصرت على صحف ثلاث هي (الزهرة، الأسبوع، الصباح) وذلك راجع إلى أن حجم الأرشيف الصحفي كبير جدًا فيه كمية ضخمة من الكتابات الجزائرية، الشيء الذي يتجاوز الجهود الفردية للبحث فيها كما أن الوقت المخصص لنا لا يكفي بالاطلاع على كل هذه الكتابات،

وتزيد طريقة الاخراج الصحفي في صعوبة البحث، حيث على الباحث أن يتوقع أن يجد أي شيء يهمه في أي ركن من الصحيفة، وربما في مكان لا يتعدى بضعة أسطر بين قسم الاعلانات أو أخبار الجهات مثلا، مما يجعل

عملية التقدم في البحث بطيئة جدا هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية لو استعملنا كل هذه الكتابات لتضخم هذ العمل إلى أضعاف مضاعفة من حجمه الحالي ونتركها لأعمال لاحقة إن شاء الله.

وقد اعتمدنا على هذه الصحف الثلاث كعينة من الصحف التونسية التي فتحت صفحاتها للأقلام الجزائرية، وإن كان التركيز كبير على "الأسبوع" و"الصباح" نظرا للاهتمام الذي لقيته لدى الجزائريين وللهجة التي كانت تميز خطاباتهما : "الأسبوع" في المرحلة الأولى ثم "الصباح" في المرحلة الثانية.

الثابت أنه لا يمكن تجاوز جريدة "الصباح" إذا تعلق الأمر بدراسة تاريخ الثورة الجزائرية خصوصا، لأنها «... تكاد تكون جزائرية في موضوعاتها واتجاهاتها باعتبارها جريدة حرة ومعارضة في نفس الوقت، وتتابع قضية الجزائر وأحداث ثورتها بشكل مكثف ومتواصل...»[1] وقد ذكر لي الدكتور محمد الميلي أن الرئيس الحبيب بورقيبة مرة هاتف رئيس تحريرها الهادي العبيدي ليسأله إن كانت الصباح جريدة تونسية أم جزائرية تصدر بتونس[2]. جرأة جريدة الصباح كلفها حَجْر دخولها الجزائر والمغرب - وهيالتي تعتبر نفسها الناطقة باسم المغرب العربي - من جوان 1951 إلى جوان 1955 ثم من نوفمبر 1955 إلى غاية الاستقلال سنة 1962 .

اخترنا الصحافة الناطقة بالعربية لأن اغلب من تصدى للكتابة من طلبة الزيتونة وهم معربون كما أنه لم يكن هناك من يهمه أن يكتب في الصحافة

---

[1] مراسلة الدكتور يحيى بو عزيز مؤرخة 24 مارس 1998.
[2] محادثة مع الدكتور محمد الميلي بتونس بتاريخ 25 نوفمبر 1997.

الصادرة بالفرنسية لأن هدفنا - يقول محمد الأخضر السائحي - هو طلب مساندة الشعب التونسي، وهو لا يطالع بالفرنسية..."[1].

يبدو أن أسلوب التواصل مع الصحافة كان عن طريق البريد[2] إلا البعض من عمل صحفيا أو في إدارة الصحف خصوصا الصباح ونذكر منهم الميلي، وطار، شريط، وبن هدوقة أثناء الثورة - هذه الطريقة تسببت في ضياع - دون شك - إنتاج هام كان سيعطينا صورة أوضح عن الكتابة الجزائرية.

لم نجد دراسات ذات بال عن هذا الموضوع إلا كُتب السيد محمد الصالح الجابري الثلاث عن الأدب الجزائري بين 1900 و1962 والملاحظ في هذه الدراسات أنه ركّز على الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية.

قسمنا هذا الكتاب إلى بابين في كل باب ثلاثة فصول، حصرنا الباب الأول في الفترة الواقعة بين 1947 و1956، حاولنا فيه ترصّد أهم انشغالات الجزائريين فكان الاهتمام بالجانب السياسي والاجتماعي والعلمي

فتتبعنا هذه الظواهر الثلاث بالدراسة والتحليل لنعيد تشكيل صورة تقريبية للجزائر في تلك الفترة الهامة من تاريخها.

---

[1] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي مؤرخة في 19 مارس 1999.

[2] مراسلة الدكتور أبو القاسم سعد الله مؤرخة في 12 أفريل 1998.

فاهتممنا في الجانب السياسي، بالوضعية السياسية التي كانت تعيشها الجزائر خاصة مع المعطى الجديد المتمثل في دستور 1947 والمجلس الجزائري الشهير المنبثق عنه والانتخابات التي شكلته، ثم تحدثنا عن قضية الوحدة داخليا وخارجيا، وأخيرا في قضية بني ميزاب ومشكلة مشاركتهم في المجلس الجزائري.

أما في الجانب الاجتماعي، فتوقفت طويلا عند قضية المرأة، تعليمها، زواجها، عنوستها والمشاكل المرتبطة بها، وأخيرا تكلمنا عن حرية المرأة، هذه القضية التي ما زالت تشغل الرأي العام إلى اليوم.

أما في الجانب العلمي، فتحدثنا عن التعليم العربي والظروف المحيطة به، ثم عن جمعية العلماء والتي تحملت عبء انهاض التعليم العربي، وتكلمنا أيضا عن الطلبة إن في تونس أو في الجزائر وعن حجم المشاكل التي يتعرضون لها.

أما في الباب الثاني الذي يمتد من 1956 إلى 1962 تاريخ الاستقلال عن فرنسا. في هذا الباب يمكننا تلخيصه في كلمة الثورة، لا حديث في هذه الفترة إلا عن الثورة فتتبعنا في محورها الأول بداية الثورة وكيفية تقبّلها ومن ثمّ كيفية تقديمها للقارئ التونسي خصوصا من خلال محاولة شرح أسباب الثورة ثم تحدثنا بإسهاب عن الموقف الجزائري من اتفاقات الاستقلال الداخلي بتونس في الوقت الذي بدأت فيه ثورة الجزائر. ثمّ تكلمنا عن موقف الجالية الجزائرية عقب استقلال تونس التام، ثمّ أخيرا عن المعركة القلمية التي ثارت بسبب الاعتداءات على تجار بني ميزاب.

أما في محورها الثاني فأشرنا إلى القمع الاستعماري الذي تعرض له الشعب ثم عن احتضان الشعب للثورة ومعه الطلبة المقيمون في تونس الذين لم يتخلفوا عن أداء الواجب الوطني.

أما في المحور الثالث فقد تحدثنا عن دور الدعاية كسلاح فعال لدعم الثورة، فتكلمنا عن الدعاية ضد فرنسا وعن الدعاية لصالح الثورة والثوار. ثم عرجنا على الدعم الخارجي الواجب تقديمه للشعب الجزائري في ثورته ضدّ الظلم، وفي مرحلة أخيرة تحدثنا عن محاولة استشراف المستقبل الذي كان ينتظره الشعب الجزائري قُبيل وبعد تحقيق الهدف الذي من أجله ثار، الا وهو الاستقلال التام.

أنهينا عملنا بخاتمة أودعناها الاستنتاجات التي خرجنا بها من الفترة المدروسة.

أملنا أن نكون قد قدمنا شيئا للبحث العلمي وأضفنا لبنة ولو صغيرة في بنائه وأعطينا من وهبوا أنفسهم - رجالا ونساء - للكتابة في الصحافة التونسية، دفاعا عن فكرة اعتقدوا صحتها حقهم.

تمهيد

شهدت الفترة التي رافقت وتلت الحرب العالمية الثانية زلزالا في العلاقات الدولية لشدة التغيّرات الحاصلة في العالم.

لقد ظهرت قوتان عالميتان جديدتان شغلتاالساحة الدولية بحربهماالباردة مقسِمةً العالم إلى قطبين يدور على رحاهما صراعهما الأيديولوجي الذي عمّر ما يزيد عن أربعة عقود من الزمن، بينما فقدت القوى الاستعمارية التقليدية الكثير من قوتها وهيبتها الدولية عقب الجهد المبذول لمكافحةَ توسع دول المحور وخصوصاالمانياالنازية.

هذه الوضعية الجديدة والمتميّزة بسوء الأحوال الاقتصادية على المستوى الدولي الناتجة عن الدمار الهائل الذي خلفته سنوات الحرب - الولايات المتحدة الأمريكية خرجت من الحرب كأكبر مستفيد محققة ازدهارا غير مسبوق وأرباحا اقتصادية خيالية، أهلتها هذه الوضعية للزعامة العالمية- أكدت الوعي الذي اجتاح العالم المستعمَر بأنالاستعمار ليس قضاءً وقدرا خصوصا وأن بعض الدول منه قد حصلت على استقلالها مباشرة بعد نهايةالحرب (اندونيسيا، سوريا، لبنان، الهند، الباكستان وسيلان سيريلانكا حاليا) الأمر الذي أنعش آمال البقية بالفرج القريب، وقد عاضدها في ذلك تأسيس هيئة الأممالمتحدة، على خلفية الحفاظ على السلام العالمي وحمايةالضعيف من ظلم القوي.

أما على المستوى العربي فقد كان لقيام جامعة الدول العربية رنة من الفرح ممزوجة بالتمني أن تكون أولخطوة لتوحيد العرب، خاصة وقد جاءت في ظرف عصيب للعرب قبيل قيام دويلة اسرائيل وهم يرون اليهود يتحصلون على المعونات بينما هم ممنوعون من تقديم العون لإخوانهم مهما كان نوعه لتقع الهزيمة العربية عام 1948 وتخلّف مرارة في النفوس بأن لا حل إلاإذا أخذ أبناء المنطقة - فعلا - أمرهم بأيديهم.

في هذه الظرفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية تتنزّل كتابات الجزائريون في الصحافة التونسية.

انقسم الكتّاب الجزائريون قبل الثورة التحريرية إلى تيارين كبيرين هماالتيار الاصلاحي ممثلا في انصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتيار الوطني الاستقلالي ممثلا في أنصار حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وسواء كان هؤلاء الكتّاب مقيمين في تونس أو في الجزائر فإن الميزة المميّزة لهم أنهم في أغلبيتهم الساحقة من طلبة الزيتونة أو ممن درسوا فيها سابقا.

كان أغلب من كتب في هذه الفترة من مناصري التيار الاصلاحي بحيث كتبوا في تمجيد جمعية العلماء ورجالاتها وأعمالها، وبقية المواضيع الأثيرة لدى العلماء (التعليم، تحرير الدين الاسلامي واللغة العربية، ومهاجمة الطرقيين وعادات المجتمع الفاسدة) أماأنصار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية فقد كانت عن الجوانب السياسية البحتة في الغالب الأعم وكان لديهم اهتمام خاص بما يجري في تونس والمغرب، وباقي أجزاء الوطن العربي وهم أكثر جرأة ووضوح في انتقاد الاستعمار.

الملفت للانتباه في قائمة الكتّاب وجود 04 فتيات بينهم وهذا شيء نادر الحدوث في تلك الفترة خاصة وأنهن لسن مقيمات بتونس إذ كن يرسلن مساهماتهن عبر البريد، ويبدو أن هذه الطريقة كانت عامة بين الجزائريين[1] مساهمة تلك الفتيات انحصرت في الحديث عن مشاكل عالم المرأة وكانت إحداهن تلميذة في مدرسة الفلاح بوهران.

كان هناك صنف آخر من الكتّاب اختفى وراء أسماء مستعارة لكن لهادلالاتها كفتى الجزائر، وطني حر، توفيق، أبو سعيد، ابن عمر، أما آخرون فقد اعتمدوا على كتابة حرفين من الاسم كـ م.د أو خ.د وهناك بكل بساطة مقالات غير ممضية اتعبتنا كثيرا في محاولة لنسبتها.

لم تكن الأحوال في المغرب العربي كذلك على ما يرام، ففي تونس كانت مشكلة العرش ما تزال مطروحة منذ عزل الملك المنصف باي سنة 1943 وإلى غاية وفاته سنة 1948 والقوى الوطنية تعلن عن مطالبتهابالاستقلال التام في مؤتمر ليلة القدر عام 1946 قبل أن يتراجع عنها الحزب الحر الدستوري الجديد لصالح سياسة المراحل، أما في المغرب الأقصى فان الوضع كان مشابها للوضع في تونس صراع بين الملك محمد الخامس من جهة والإقامة العامة من جهة ثانية خاصة بعد خطاب طنجة عام 1947 ذلك الصراع الذي بلغ قمته مع خلع الملك من عرشه في 20 أوت 1953، أدت هذه الأوضاع إلى انفجار المقاومة في البلدين.

[1] مراسلة الدكتور أبو القاسم سعد الله بتاريخ 12 أفريل 1998.

أما في الجزائر فقد كانت الأحداث جسيمة ومتسارعة شهدت إنهزام فرنسا أمام ألمانيا ومجيء نظام فيشي بين 1940و 1942 ثم الإنزال الحليف في نوفمبر 1942 الذي رافقته دعاية واسعة لمبادئ وثيقة الأطلسي وكثر الحديث عن الحرية، حتى حفظ الناس في الجزائر كلمة حرية بالإنجليزية (freedom فريدوم) ذات مفعول سحري أحيت الآمال والوعي بالتحرر والاستقلال زادها تأججا إنشاء أحباب البيان والحرية أو لهيكل تجمعي يجمع مختلف التيارات السياسية الجزائرية إلا ان هذاالأمل حطمته مجازر ماي 1945 التي أظهرت مرة أخرى الوجه البشع للاستعمار، ليتواصل القمع بعدها إلى غاية الاستقلال، فكانت فترة للظلم والاضطهاد، شهدت هذه الفترة أيضا إصدار دستور الجزائر عام 1947 فكان هيكلا دون روح رافقه التزوير الانتخابي إلى غاية حله عام 1956، ممأبعد الوطنيين عن التأثير في حاضر ومستقبل بلادهم التي عاشت أزمة اقتصادية حادة دفعت بأغلبية الجزائريين إلى حضيض الفقر والخصاصة والاستغلال من قبل المعمرين الأوروبيين [1]. لقد كانت هذه الأحداث والحالة المعيشية مساهمة في تبلور الوعي الوطني للجزائريين وطريقهم نحو التحرر والذي بدأت مراحله الأخيرة مع انطلاق الثورة التحريرية في نوفمبر 1954.

مع اندلاع الثورة انتفى الانتماءالحزبي لكتّاب هذه الفترة لصالح الانتساب للثورة بعدما اشترطت ذلك – قبلا – جبهة التحرير الوطني

---

[1] انظر عبد اللطيف ابن اشنهو: تكوّن التخلّف بالجزائر: محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر ما بين عامي 1830 و1962، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

واصبحوا يرون انفسهم ثوارا، فاضحت الكتابة في هذه الظروف في خدمة الثورة والثوار ولا شيء غير ذلك، ما يلاحظ أن جيلا جديدا أخذ المشعل من الجيل السابق الذي كتب قبل الثورة لكن مع الاستمرارية على النهج التحرري إلى غاية تحقيق النصر.

الباب الأول

كتابات ما بين 1947 و1955

الفصل الأول: الحياة السياسية

1. دستور الجزائر لعام 1947 والانتخابات

تمت المصادقة على هذاالدستور يوم 20 سبتمبر 1947 من طرف البرلمان الفرنسي [1]. والذي لم يحظ برضاء أحد سواء من الجانب الجزائري أو من جانب الجالية الأوروبية –حتى قبل اعتماده [2]– فقد رفض نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية حتى مبدأأن يشرع البرلمان الفرنسي دستور للجزائر، معتبرين ذلك من حق مجلس وطني تأسيسي [3]. أما الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائر فقد خرج نوابه من قاعة التصويت احتجاجا على استبعاد مناقشة البرلمان لمشروع الحزب والمتمثل في جمهورية جزائرية ذات حكم ذاتي، مشاركة في الاتحاد الفرنسي، مرتكزة على ثنائية الجنسية للجالية الفرنسية وللجزائريين [4] أما العلماء فقد رأوا فيه "... مولود غير مستعد للخير" [5].

---

[1] André NOUSCHI, La naissance du nationalisme algérien : 1914 - 1954, Ed. Minuit, Paris, 1962, p 149.

[2] Charles - Robert AGERON, Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, T2, éd. P.U.F., Paris, 1979, p 611.

[3] حديث صحفي مع أحمد مزغنة، الزهرة، 28 مارس 1948، ص 01.

[4] Charles-Robert AGERON, op. cit, p 605.

[5] ندوة صحفية للعربي التبسي بتونس، الأسبوع، 05 ديسمبر 1948، ص 06.

هذا الاستقبال السيئ لما سمي بدستور الجزائر، له ما يبرره في نظر احمد توفيق المدني، ففي تحليله [1] يرى أن هناك نقاط قوة وذلك تجاوزا.

أولا:الاعتراف المبدئي بأن القطر الجزائري ليس هو فرنسا، ولا يمكن أن يكون قطعة من فرنسا[...] وذلك هو مدلول تأسيس مجلس جزائري مطلق النظر في المسائل المالية والاصلاحات الداخلية، والنظر في إمكان أو عدم إمكان تنفيذ القوانين الفرنسية بالبلاد الجزائرية.

ثانيا:إعلان التساوي التام في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والأوروبيين وفتح أبواب المناصب العامة أمام الجميع عند تساوي الكفاءة وإلغاء كل القوانين الاستثنائية، أو الزاجرة التي كان مفعولها مختصا بالمسلمين.

ثالثا :الاعتراف بمبدأ التساوي في المجالس المنتخبة بين الجزائريين والأوروبيين.

رابعا :الاعتراف بحرية الدين الاسلامي واستقلاله عن الحكومية وترك سائر أموره لجماعة المسلمين يتصرفون فيه حسب مصلحة الدين لا حسب هوى الإدارة.

أما نقاط الضعف فهي:

أولا: إن المجلس الجزائري [2] ليس له حق التشريع ولا يسن للجزائر ما يراه صالحا لها من قوانين عامة إلا فيما يتعلق بالمسائل المالية الداخلية [...]

---

[1] حديث صحفي مع احمد توفيق المدني، الأسبوع، 08 أوت 1948، ص 03.
[2] برلمان استحدثه دستور 1947 يتكون من 120 عضو وبالتساوي بين الجالية الأوروبية والجزائريين.

فقصارى نظر المجلس الجزائري أنه يدرس القوانين الفرنسية التي يصدر ها مجلس الأمة الفرنسي، فإن رآها مناسبة اصدر أمرا بتنفيذها، وإذا رآها غير ملائمة للقطر الجزائري حوّرها أو عدّلها. أما إذا أراد سن قانون جديد فعليه أن يطلب من المجلس الوطني الفرنسي أن يسن ذلك القانون ثم يأمر هو بتنفيذه.

ثانيا: إن هذاالقانون مع اعترافه بأن سائر الجزائريين على الإطلاق مهما كان دينهم وأصلهم ولغتهم، يعتبرون مواطنين فرنسيين متساوين في الحقوق قد قسم الناخبين إلى قسميناثنين [...]إن الديمقراطية الحرة التي سنّها نظام الجزائر الجديدة تقتضي أن الفرنسي المسيحي واليهودي يعادل تسعة من الجزائريين المسلمين.

ثالثا : تدخل الإدارة في الانتخابات مما يعني أن النواب سيكونون على مقاسها وهم من جماعة بني وي وي، وهذه نقطة ضعف قاتلة للتجربة برمتها.

من الناحية القانونية لا يمكن نقد هذاالدستور عن عدم تطبيق بعض الأحكام التقدمية التي أتى بها كإلغاء الحكم العسكري في الجنوب والبلديات المختلطة ثم حق المرأة المسلمة وتعليم اللغة العربية وترسيمها من خلال ترك ذلك إلى القوانين العضوية التي سنها المجلس الجزائري [1]. ومن خلال الموانع التي أقرها الدستور لشل عمل المجلس، خاصة نسبة الثلثين (المستحيلة)

[1]Colette et François JANSON, L'Algérie hors la loi, éd. Seuil, Paris, 2ème édition, 1955, p 79.

لتمرير بعض القوانين [1] وهذا هو المطلوب من طرف الإدارة الفرنسية والجالية الأوروبية، وكان هذا غير كاف لإبقاء الوضع كما هو فإنه كان لا بدّ من تزوير الانتخابات بأنواعها لحرمان الوطنيين من أي وسيلة للتأثير على مستقبل البلاد.

كثرت الانتخابات في الفترة التي ندرسها (1947-1954) وكثر الاهتمام بها سواء من جانب الوطنيين أو من جانب الإدارة الفرنسية، رغم أن النظام الانتخابي في الجزائر صورة بارزة للوجود الاستعماري بالجزائر. فبخلاف طابعه العنصري المرتكز على قاعدة المجمعين الانتخابيين المنفصلين. أحدهما المجمع الأول يضم هيئة ناخبة ممثلة لمليون أوروبي وبعض المجنسين من الأهالي. والمجمع الثاني ممثل لما يزيد عن 09 ملايين من الأهالي. ورغم أن التمثيل النيابي للجزائريين في أحسن الأحوال هو التساوي مع ممثلي الطائفة الأوروبية في المجلس الجزائري، أما في المجالس العمالية والبلدية فإن التمثيل لا يزيد على خمسي الأعضاء، وأن الإدارة الفرنسية أبت إلا إضافة ضمان آخر وهو "صناعة الانتخابات".

ولذا أصبح العرف الانتخابي يتلخص كما يلي : **"للشعب حق الاقتراع على من يشاء وللسلطات الاستعمارية حق اعطاء النتيجة كما تريد"** [2].

---

[1] André NOUSCHI, op. cit, pp. 152-153.

[2] عبد الله شريط، "ثقافة الشعب" ج 3، الصباح، 24 اوت 1951، ص 04.

فالإدارة في هذه الحالة هي الناخبة والمنتخبة معا[1] والمجالس تصبح معينة لا منتخبة[2].

أما التحضير للانتخابات يتم قبل مدة بإشاعة جو من الإرهاب والرعب من خلال حملات الاعتقالات والمحاكمات الزجرية التي لا تستثني حتى النواب (الجزائريون)[3].

أما يوم الانتخاب فالتجاوزات عديدة بدءً بتكوين مكاتب مراكز الاقتراع، إلى عدم احترام أوقات فتح وغلق هذه المراكز، إلى جعل بعضها سرية، إلى غياب أوراق الانتخاب الخاصة بالمترشحين الوطنيين من هذه المراكز، إلى منع ممثليهم من مراقبة سير العملية الانتخابية، أو إيقافهم أو طردهم تحت ضربات أعقاب البنادق من مراكز الاقتراع إلى الملء المسبق للصناديق بأوراق مرشحي الإدارة، أو سرقتها من قبل العسكريين أو تعويضها بأخرى مملوءة وقت امضاء محاضر الفرز، إلى تصويت الموتى أوالغائبين إلى تصويت رجال الإدارة بالوكالة عن عشرات الناخبين[4]. ولسنا في حاجة إلى التنبيه بأن هذه التجاوزات تقع في المجمع الانتخابي الثاني فقط.

---

[1] فتى الجزائر، الانتخابات الجزائرية، الزهرة، 07 فيفري 1951، ص 04.

[2] Charles-Robert AGERON, op. cit., p 611.

[3] André NOUSCHI, op. cit, p 154.

[4] Mahfoud KADDACHE, Histoire du nationalisme algérien : Question nationale et politique algérienne : 1919-1951, T2, éd. S.N.E.D., Alger, 1980, pp 796-797.

لذا أصبحت عبارة الانتخابات على الطريقة الجزائرية مثلا يضرب للدلالة على انتخاب غير نزيه [1]. وحجة رجال الإدارة الفرنسية لتزوير الانتخابات هي أن الاختيار ليس بين انتخابات حرة وانتخابات مزورة، بل هو بين انتخابات مزورة من طرف المصاليين، وانتخابات مزورة من طرف الولاية العامة ونحن اخترنا الثانية..." [2].

فإن كانت الانتخابات البلدية لعام 1947 مصدر أملٍ لكثيرٍ من الجزائريين [3]، فإن الانتخابات اللاحقة أصابت كل الجزائريين بالإحباط [4]، لأنها حطمت كل محرار لقياس درجات التزوير على قول فرحات عباس [5] ولم يبق لهم من مخرج إلا أن يثوروا [6]. وبالتالي كان التساؤل الدائم حول جدوى هذه الانتخابات بالنسبة للجزائريين. بل وكل المؤسسات التي جاءت عن طريق دستور 1947.

2. مشكلة مشاركة بني ميزاب في المجلس الجزائري

أثارت مسألة مشاركة بني ميزاب في المجلس الجزائري جدلا في الأوساط الميزابية بين مؤيد ومعارض.

[1]Marcel EGRATAUD, Réalité de la nation algérienne, éd. sociales, Paris, 2ème édition, 1961, p 223.

[2]Charles-Robert AGERON, op. cit, p 611.

[3] حناني بلقاسم بن علي، الحركة الوطنية تنتصر انتصارات مدهشة، الزهرة، 30 أكتوبر 1947، ص 02.

[4] فتى الجزائر، المصدر السابق.

[5]Ferhat ABBAS, Autopsie d'une guerre ; L'aurore, éd Garnier frères, Paris, 1980, p 119.

[6]Charles-André JULIEN (Intro.) in Pierre Nora, les français d'Algérie, éd. JULLIARD, Paris, 1961, p 20.

فالمعارضون يرون أن ذلك يعني نهاية مفعول معاهدة الحماية الموقعة مع فرنسا سنة 1853 والتي تترك لميزاب: "... تمام الاستقلال الذاتي الداخلي من الوجهة الدينية والثقافية والإدارية، وإدارة البلاد داخليا بمجالس داخلية تنتخب بالاقتراع العام طبق العوائد العتيقة للبلاد..."[1] وهذا معناه في نظرهم: "... محق ذاتية ميزاب وسلب حقوقه وميزاته". وأو لهذه الامتيازات أداء الخدمة العسكرية [2] باعتبار الميزابيين مواطنين كاملي الحقوق والواجبات و" أن قبول الفصل الثالث من دستور 1947 الذي يسمح للميزابيين أن اتفقوا بالتقاضي في أمورهم المتعلقة بالحالة الشخصية أمام قضاة الصلح والمحاكم الفرنسية بدل التحاكم إلى قضاتهم [هو] ارتداد صريح [في عرفهم]..."[3]. من ناحية أخرى (القبول بالفصل 53 يجعل بلاد ميزاب مجرد بلديات بسيطة ضمن العمالة الجزائرية[+] وليس لها أدنى امتياز[4]. ويعيب المعارضون وجود مقعد واحد لميزاب - بفرض أنهم رضوا بالنظام الجديد - مما يجعل مصالح ميزاب تضيع عند التصويت في المجلس الجزائري بالخضوع لمنطق الأغلبية[5]

---

[1] مفدي زكريا (تصريح بباريس)، الزهرة، 26 مارس 1948، ص 01.

[2] الحاج محمد عمر ابن عيسى ابن إبراهيم، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية من سنة 1853 إلى سنة 1951، مطبعة النهضة، تونس، 1951، ص 88.

[3] احمد توفيق المدني "...مشاركة وادي ميزاب في الانتخابات الجزائرية، الأسبوع، 30 ماي 1948، ص 03

[+] يقصد مقاطعة أو محافظة الجزائر وليس البلاد الجزائرية كلها.

[4] الحاج محمد عمر ابن عيسى ابن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 88، 89.

[5] المرجع نفسه.

بينما يرى المؤيدون للمشاركة في المجلس الجزائري أن هذه المشاركة تقوي المعاهدة وتثبتها وقد اعترف بوجودها. ودليل ذلك جعل الحكومة الفرنسية مقعدا خاصا لميزاب وحده[1].

كما يمكنه الحصول على بعض المنافع المادية كالاستفادة من الميزانية العامة الجزائرية كتعبيد الطرق أو حفر الآبار الارتوازية أو مواجهة كل أزمة طارئة. كما يمكن لنائب ميزاب الدفاع عن وجهة النظر الميزابية في سائر ما يتعلق بمصالح الميزابيين سواء كانوا بالتل أو بأرض الوطن ولربما كانت لهذه المواقف آثارا من حيث جلب المصالح أو درء الأخطار[2]. وهذا الأمر يتطلب جهودا من أبناء الأمة لمؤازرة نائبهم في المجلس الجزائري وعدم الاتكال عليه فقط لتحقيق المنافع المرجوة من هذه النيابة .

وقد انتصر مؤيدو المشاركة في المجلس الجزائري وانتخب الشيخ ابراهيم بيوض نائبا عن ميزاب واعتبروا يوم الانتخاب، يوما مشهودا، تزاحم فيه أبناء ميزاب أمام مكاتب الاقتراع، ولم يتخلف إلا المعذورون لانبثاثهم في انحاء القطر النائية. وفي البلاد التونسية[3]. في نفس الوقت واصل المعارضون كفاحهم، محاولين إلغاء انتخابات أفريل 1948 بإثبات أن معاهدة 1853 ما

---

[1] الشيخ أبي اليقظان الشباب والحياة الجديدة، الأسبوع، 08 جانفي 1951، ص 05.

[2] عيسى بوحجام بن الحاج عمر، الشعب الميزابي يشارك إخوانه الجزائريين في الكفاح، الأسبوع، 09 ماي 1948، ص 06.

[3] المصدر نفسه.

زالت سارية المفعول [1] .ميدان آخر للتناطح مع فرنسا واشهار معاهدة 1853 في وجهها كوسيلة لدرء اخطارها عن منطقة ميزاب.

المياه في ميزاب قضية حياة أو موت، بها يتعلق مصير الوطن الميزابي كله وهي تعتبر من ناحية أخرى أكبر جريمة استعمارية، ونوعا جديدا من سياسة التفقير. تريد الحكومة [الفرنسية] من ورائها أن تسلب الميزابيين حقهم الطبيعي من المياه التي توجد تحت اراضيهم وتتصرف وحدها في أهم مورد اقتصادي. وسلاحها في ذلك الشركة الاستغلالية للمياه الموجودة تحت ارض الجنوب الجزائري التي منحتهاامتياز حفر الآبار الارتوازية مع ضمان الحوز الأهلي لميزاب سداد ديون هذه الشركة في حالة عجزها عن الدفع، مما أثار غضب الميزابيين، وقاطعوا مياه هذه الشركة رغم شدة حاجتهم للمياه لسقي غاباتهم [2]، لأن في ذلك تدخل في أمورهم الداخلية، وخرق لمعاهدة 1853. كما أنها بهذه الطريقة تتحكم في تسعير المياه مما يضع المنطقة كلها تحت رحمة هذه الشركة. وهذا استغلال فاضح لثروة الوطن من طرف الأجانب مع حرمان ابنائه منه [3] .

لقد فشل مشروع لاريجي - la Régie - الذي كان يهدد البلاد بالخراب، وانفتح الباب أمام النقابات أوالتعاونيات الوطنية [التابعة لأهل البلد] للحلول محلها، وتشمير على سواعد أهل ميزاب للبناء والتعمير، حتى

---

[1] الحاج محمد عمر ابن عيسى ابن ابراهيم، المرجع السابق، ص 68.
[2] وطني حر، المياه بوادي ميزاب، الأسبوع، 09 أفريل 1951، ص 02.
[3] الحاج محمد عمر ابن عيسى ابن ابراهيم، المرجع السابق، ص 34، 35.

لا يطغى عليهم سيل الأجانب ويرموا بهم إلى حضيض الحمّالين والشحاذين[1].

وهذه دعوة لشباب ميزاب للالتحاق بركب الحياة العصرية بالعمل على تطوير منطقتهم وانفتاحها على العلم الحديث والأخذ بأسبابه ليكون لهم موقع تحت الشمس. وقد كفاهم الجيل الذي قبلهم مؤونة تحضير الأرضية لذلك بالدعوة إلى الاصلاح وترسيخه ومقارعة خصومه والاستعمار معا والتحدي للشباب الميزاب ألا يبقوا أذنابا في بلادهم[2]. وهذا لن يتحقق إلابالتعاون والاتحاد بين جميع طبقات الشعب الجزائري وحركاته.

3. الاتحاد

كان الاتحاد أهم مطلب للحركة الوطنية، كل توجه له نظرته للوحدة وكيفية تحقيقها. وكانت تجربة أحباب البيان والحرية تجربة فريدة. غير أنها وبعد قمع ماي 1945 كانت السبب في تأخراعادة الوحدة للساحة السياسية الجزائرية. وانطلقت أصوات تطالب بالوحدة من جديد لأن "... اتحاد القوى الوطنية ازاء هذا الاعتداء الاستعماري أمر ضروري متحتم لنجاح القضية الوطنية وبلوغ الشعب الجزائري ما يصبو اليه من حرية واستقلال..."[3].

[1] الشيخ أبي اليقظان، المصدر السابق.
[2] المصدر نفسه.
[3] "لائحة من السكان الجزائريين بتونس الى الأحزاب الجزائرية"، الزهرة، 12 ماي 1951، ص 02.

كان الجزائريون واعين بأهمية الاتحاد[1] في زمن "... لا يفلح فيه إلا الشعب الذي توحدت صفوفه وتآخى ابناؤه، أخوة اشد من الرحم، وأقوى من أواصر القرابة ووشائج الأرومة الواحدة..."[2] وبأن الطريق إليه ليس مفروشا بالورد لأنه "عزيز عزة القنبلة الذرية"[3] ومن يطلبه عليه أن يدفع ثمنه بـ"... نكران الذات في الدرجة الأولى ويليه اصطناع الحكمة دائما في معالجة الصلات بين العاملين لصالح البلاد. ولو كان في شيء من الذل وقبول الذل لصالح الاتحاد الجليل والواجب المقدس لأن فيه تضحية وصبرا..."[4] هو إذن "صفاء الضمائر وإخلاص المبدأ وتظافر في المجهودات، وتفان في العمل مع إعراض عن النقائص وتناس للضغائن..."[5].

إن أسس الاتحاد موجودة سواء مادية أو روحية، أي من إقتصاد وعقيدة ولغة، وما يجمع الجزائريين أكثر مما يفرقهم وما يبعدهم عن فرنسا أكثر مما يقربهم.وبالتالي فرض التساؤل عن مبررات الشقاق نفسه على الجزائريين [6].

دائما وفي مثل هذه الحالات يكون الاستعمار هو المتهم الأول، فإن لم يظهر لهم سافرا أشاروا له من خلال أذنابه، فمثلا رأى البعض في سعي الولاية العامة اسقاط الحصانة البرلمانية عن نائب حركة الانتصار للحريات

---

[1] محمد الساسي "حول قضية محمد خيضر، أهي محاولة لعرقلة الاتحاد بالجزائر"، الأسبوع، 15 جانفي 1951، ص 11.

[2] الأمين عبد العزيز، "واجب المرأة المسلمة في ظروفها الحاضرة"، الأسبوع، 24 نوفمبر 1952، ص 06.

[3] "تصريح الفضيل الورتلاني" الأسبوع، 29 أكتوبر 1951، ص 01.

[4] المصدر نفسه.

[5] فتى الجزائر، "أطل الصباح من وراء القرون"، الصباح، 22 فيفري 1951، ص 04.

[6] المصدر نفسه.

الديمقراطية في البرلمان الفرنسي، السيد محمد خيضر - بخلاف اتهامه بضلوعه في السطو على البريد المركزي بوهران عام 1949 [1]؛ مؤامرة لمنع اتحاد الأحزاب السياسية والفعاليات الجزائرية مع حركة الانتصار للحريات الديمقراطية... فتنفي [...] من الاتحاد مع هذه الحركة التي هي من الشعب وإلى الشعب أو تخاف من المستعمرين أن يفعلوا بها فعلهم بأعضاء هذه الحركة[2].

إلا أن الدعوة للاتحاد تواصلت رغم هذه المناورات الاستعمارية، بل ربما كانت حافزا إلى الوعي بأهمية الاتحاد. وبالتالي العمل على تحقيقه، وكل حزب من الأحزاب الوطنية يدعي شرف ذلك سواء أكانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية [3] أو جمعية العلماء [4]. وليست لنا فكرة عن رأي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أوالحزب الشيوعي لأننا لم نجد كتابات تعكس آراؤهما على صفحات الجرائد التونسية، ولكن لا نخال ادعاؤهما هذا الشرف. والتجربة الفاشلة للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها شاهد على ذلك [5].

---

[1] C;F. Henri ALLEG ; (sous dir.), la guerre d'Algérie, T.1. éd. Temps actuels, Paris, 1981.

[2] محمد السامي، المصدر السابق.

[3] فتى الجزائر، المصدر السابق، ايضا تصريحات شوقي مصطفاي، الصباح، 25 مارس 1951.

[4] أ.ع. آثارالحركة الإصلاحية بالجزائر، الأسبوع، 20 فيفري 1950، ص 05.

[5] Emmanuel SIVAN, Communisme et nationalisme en Algérie 1920 - 1962, Ed. Presses de la fondation nationale des sciences politiques, Paris, 1976, pp 185-186.

نظرا للأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الجزائر أضحىْ موقف الحياد في الاتحاد[...] جريمة وذلك بالنظر إلى أن قوى العالم تكتلت فيه ولم يعد للضعفاء من مكان. كما أن التاريخ علمهم أن الضعفاء والمشتتين كانوا دائما وقود حروب الأقوياء والذين يؤبون دائما بخفي حنين ولا سبيل إلى محو هذه الوضعية المزرية إلاالاتحاد"[1].

إن الرؤية الاستشرافية وبعد نظر الجزائريين ترى أن الاتحاد المنشود بالنسبة لهم لا يقتصر على الجزائريين فقط "... فالجزائر وحدها لا يمكن لهاأن تحيا وتزهر (بعد تحقيق وحدتها وهي المرحلة الأولى) إلا ضمن المغرب العربي الموحد فكريا وعمليا. فتلك هي المرحلة الثانية [...] ثم أن المغرب العربي لا يمكن له أن يعيش وحده لما يحتاج اليه في بنائه بعد التخريب الاستعماري من المواد المادية والفكرية، فحوله العالم الاسلامي المنتشر في أصقاع الأرض فتلك هي المرحلة الثالثة..."[2].

4. التوجه العربي

لم يتخلَّ الجزائريون عن انتمائهم العربي في يوم من الأيام، رغم كل المحن التي مرت بهم ورغم ما قامت به السلطة الفرنسية لاجتثاث هذاالشعور بالانتماء إلى وطن أكبر من الجزائر.

---

[1] فتى الجزائر، المصدر السابق.

[2] المصدر نفسه.

يعترف الجزائريون أن العروبة شعت على العالم ثم خبت طبق سُنة التداول [1] لكن ظهور جامعة الدول العربية سنة 1945 أحيى الآمال في عودة العروبة إلى إشعاعها السابق، بل أكثر من ذلك أن تتحول إلى قوة ثالثة أمام القوتين المتصارعتين وقتئذ [2].

ولأن القضية متشعبة وليست بالسهولة المتصورة، خاصة بالنسبة للجزائريين، فإن عبد الله شريط خصص لها سلسلة مقالات في جريدة الصباح بعنوان القومية العربية بين الفكر والواقع [3]. شرح فيها معنى القومية العربية، وأكد فيها، أنها ما زالت في الطور الفكري ولم تنزل بعد إلى الواقع رغم توفر الخصائص المؤسسة لقومية ما من مجال جغرافي متصل، جنس وإرث فكري واحد من لغة وثقافة ودين ورغبة مشتركة في التجمع ورابطة الدم، وحتى المحن السياسية الناتجة عن التجزئة كعامل جذب للتجمّع.

وفي رأيه أن ذلك القصور يرجع إلى أن الأمرلم يأخذ مجراه الطبيعي كما جرى في أوروبا، أي من القاعدة إلى القمة. لكن الذي حدث عند العرب هو العكس أي أن القمة حاولت فرض هذه الايديولوجيا على الشعب الذي "... بقي بمعزل عنها لا يدري من جزئياتها شيئا، ولا يعلم عن كلياتها قليلا أو كثيرا..." الشيء الذي عرض هذا العمل للانهيار عند أو لمواجهة مع عوامل سياسية معاكسة. وهذا يعني بالنسبة لشريط أن "... لا قومية بدون شعب والشعب العربي هو المخزن القومية العربية..."

---

[1] الطيب الشريف، من وحي العروبة ج 2، الأسبوع، 11 افريل 1948، ص 03.

[2] المصدر نفسه.

[3] بلغت عشرة مقالات. ظهرت ما بين 18 ماي و03 أوت 1951.

ويرى شريط أن الإحساس بالتفرّد، والعمل على نشأة القوميات الضيقة - حتى أصبح لبنان ينادي بالقومية الفينيقية، ومصر تتغنى بالقومية الفرعونية - إنما هو من عمل الاستعمار بضغطه الشديد على الشعب العربي في كل قطر على حدة، مما يخلق النزعة الانعزاليةالمؤيدة إلى هذاالأمر.

هذا الانعزال يقطع الصلة بين فروع الشعب العربي حتى يصبح المصري "... يتوهم أن سوريا عبارة عن قبائل من البدو ومدنها أكواخ من الطين. وأصبح اللبناني لا يعرف عن مصر إلاأنها مسرح للعبيد الغلاظ الذين يعيشون على أعشاب وادي النيل. وكان جميعهم (...) لا يعرفون عن سكان شمال افريقيا إلاأنهم أناس يتطوعون في الجيش الفرنسي ولا يعرفون عن أصلهم شيئاً. ولا تندهش كما اندهشت تلك الطالبة السورية حينما اخبرها أحد الطلبة الجزائريين في الجامعة السورية بأنه ليس فرنسيا وبأنه عربي، وأن العربية تعلمها في حجر أمه الأميّة قبل المدرسة.

هذا الانقطاع في التواصل جعل البعض من الجزائريين يكفرون بالقومية العربية لأنها في نظرهم "صياغة بريطانية"[1] لضرب الأمة الاسلامية، لأن "... فكرة القوميات انتاج أوروبي حينما فشلت الفكرة الدينية في جمعهم في دولة واحدة. ولن يصلح [ذلك] في الشرق لأنه يستمد وجوده ذاتيته من طبعاته الروحانية"[2]. كما أنه ظهر اتجاه، أحدث بالخصوص سنة 1949 ما دعي بالأزمة البربرية في صلب الحركة الوطنية برفضه فكرة الانتماء العربي

---

[1] محمد الحاج الناصر، الجهاد العربي في طور جديد، الأسبوع، 28 فيفري 1949، ص 09.

[2] المصدر نفسه.

للجزائر، لكنه اخمد بسرعة [1].وبقي الإحساس بالانتماء العربي الاسلامي هو المهيمن ولقضاياه الأولوية في الدعم والتضامن.

وكانت القضية الفلسطينية احدى القضايا العربية التي أجمع الشعب الجزائري على العمل من أجل حلها حلا عادلا يعيد للشعب الفلسطيني حقوقه على أرضه. وقد وجدت فيها كل الاتجاهات الجزائرية مبررا للعمل من أجلها [2].

لقد قرأتها الكتابات الجزائرية على أنها مؤامرة بريطانية من خلال خلق "دويلة" اسرائيل سعيا للحفاظ على مكانتها في المشرق العربي في مواجهة العملاقين الجديدين: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي [3]الذين وجدا في تأييد قيام "دويلة" اسرائيل خدمة لأهدافهما في المنطقة [4]. فكانت مساعدتهم فاضحة لليهود لتركيز كيانهم في فلسطين بالسلاح والمؤونة وخصوصا بتسهيل الهجرة إلى هناك.

في الجزائر فتحت الهجرة اليهودية الأعين على ما يجري في فلسطين، خاصة حينما يكون مركز انطلاقها العاصمة الجزائرية بعد تجمع اليهود فيها قادمين من أقطار المغرب العربي الثلاث [5]. وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه حين يثبت تواطؤ الإدارةالفرنسية في الجزائر وباريس ليس بتزويدهم

[1] C.F. Ben Youssef BEN KHEDDA, Les origines du 1er novembre 1954, Ed. Dahlab. Alger, 1989, pp 169-186.

[2] حديث صحفي مع احمد توفيق المدني، الأسبوع، 15 اوت 1948، ص 03.

[3] محمد الحاج الناصر، المصدر السابق.

[4] إبراهيم أبو حيدة كيف يتحقق السلام ؟، ج2، الأسبوع، 28 فيفري 1949.

[5] إبراهيم أبو حيدة، كيف يتحقق السلام. ج 2.، الأسبوع، 28 فيفري 1949.

بجوازات السفر فحسب بل وتدريبهم على حذق استعمال السلاح وفي احسنالأحوال غضّ الطرف عن نشاطاتهم تلك مما ليس "...إذاية للجزائريين فحسب بل هو إذاية لجميع المسلمين حيث ما كانوا..."[1]، الشيء الذي أثار غضب الجزائريين وهم يرون أنفسهم ممنوعين من إعانة إخوانهم الفلسطينيين ولو بالمال [2] وهذا لن يخدم السلام العالمي على الإطلاق [3].

إلا أن فشل الجزائريين في تدعيم القضية الفلسطينية لم يكن بسبب التدخل الاستعماري فحسب بل توزع جهودهم وخلافاتهم اضعفت هذاالمجهود، من خلال محاولة كل حركة من الحركات الجزائرية تزعم القضية [4] فتحولت "لجنة إعانة فلسطين" إلى ميدان صراع بين الاتحاد الديمقراطي وحركة الانتصار بهدف استغلالها للدعاية الحزبية، فرفضت حركة الانتصاراقتراح الاتحاد الديمقراطي وجمعية العلماء بأن تمضى برقيات التضامن من طرف الشيخ الابراهيمي مؤاخذة الحركتين على محاولة تحجيم العمل لصالح فلسطين العربية والمستقلة في اطار ديني تحت والبحث عن تهميش مصالي [5].

رغم هذا التشرذم في العمل على المستوى السياسي فإن العمل في أرض المعركة بالنسبة للمتطوعين المغاربيين كان شيئا آخر أظهروا فيها براعتهم

---

[1] توفيق نواب حزب الشعب الجزائري يحتجون ضد السياسة الحالية بالجزائر وترحيل اليهود إلى فلسطين. الزهرة، 31 ماي 1947، ص 01.

[2] المصدر نفسه.

[3] إبراهيم أبو حميدة، المصدر السابق.

[4] نور الدين بن محمود، قابلت الزعيم أحمد مصالي الحاج، الأسبوع، 18 جويلية 1948، ص 03.

[5] Mahfoud KADDACHE, op. cit. p 783.

وشجاعتهم في الملمات. فكانوا البضعة من الآلاف التي سكبت دمها على الأرض العربية المقدسة والتي هاجرت وطنها لا للارتزاق، وطلب العيش، بل للاستشهاد وطلب الحياة في الموت. فكانوا صورة لإمكانيات العرب المغاربة واستعدادهم لتبييض الوجه في الميادين الشريفة. كما قال عنهم عزام باشا [1].

5. الوحدة المغربية

لم تكن الدعوة إلى الوحدة المغاربية بجديدة على الوسط الجزائري، فقد طرحت على صفحات الجرائد التونسية منذ العشرينات من القرن العشرين [2]. وتواصل هذاالاهتمام في الفترة التي ندرسها.

وصل الأمر إلى أن يؤكد الجزائري ألا فرق بين الدول الثلاث وأنه "... لا مبرر لقول كل من قال من الجزائريين والمغاربة أن المسألة التونسية مسألة داخلية لا دخل لنا فيها وكل التونسيون والمغاربة في القضايا الجزائرية ونحن [الجزائريون] والتونسيون في القضايا المغربية ..." [3]. وهو يرى أن الاستعمار واحد في الأقطار الثلاث وأن الاستعمارين الفرنسي والاسباني يوحدان جهودهما لإبقاءالمغرب العربي تحت سيطرتهما، أليس هذا بكاف لكي تتوحد أقطار المغرب العربي ؟. ليعملوا معا من أجل تحررهم، خاصة وأن

---

[1] عبد الله شريط، مجاهد تونسي يتحدث عن معارك التحرير بالأراضي المقدسة، الأسبوع، 24 جويلية 1948، ص 01.

[2] محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس : 1900-1962، ج 1، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة -، قرطاج، 1991، ص 33.

[3] عبد الجليل السعودي بلادنا جميعا بالاستعمار، الأسبوع، 19 فيفري 1951، ص 10.

الاستعمار "... ينظر إلى المغرب العربي نظرة واحدة، وبعين واحدة. فما يمنعنا نحن [المغاربيون] من النظر اليه بنفس العين التي ينظر بها إلينا..."[1]. كما أن المتغيرات الدولية أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تسير في صالح الأقوياء المتوحدون لا الضعفاء المتشتتون.

وإيمانا بهذه الوحدة، عمل الجزائريون على استغلال أي مناسبة لتدعيم أواصر الوحدة والأخوة المغاربية. وكانت عودة الزعيم الحبيب بورقيبة من المشرق العربي إلى تونس في سبتمبر 1949 إحداها. فإذا صدّقنا السيد عبد الله ميمون فقد "... انتشر خبر رجوع الزعيم بسرعة البرق وتناقله الجزائريون إلى القرى المنعزلة والبوادي النائية، وكلهم يتباشرون خيرا بمقدمه الميمون ويحمدون اللّه على وصوله سالما بعد إتمام المهمة التي اضطلع بها هو وصحبه الكرام وقاموا بها خير قيام* ويشفعون ذلك كله بالتعاليق التي تنمّ على الإيمان بمستقبل المغرب العربي والعزم على مواصلة الكفاح خلف رجال الوطنية المغربية الذين ضربواالمثل عاليا في التضحية والثبات والعمل المتواصل..."[2].

وإذا فهمنا الأمر، فإنه يبدو أن الوعي بالوجود المغاربي – في هذه الفترة التي نعالجها – قد تخطى حدود النخبة ليجتاح الأوساط الشعبية. فبعدما كان الاحتقار متبادلا في هذه الأوساط في البلدان الثلاث على السواء –

---

[1] المصدر نفسه.

*C.F. Samya EL MACHAT, La Tunisie : les chemins vers l'indépendance, 1945 - 1956. Éd. l'Harmattan, coll. « Histoire et perspectives méditerranéennes », Paris, 1992.

[2] عبد الله ميمون، "مرحبا بالزعيم الحبيب"، الزهرة، 14 سبتمبر 1949، ص 02.

فالتونسي شرقي وبراني حقير في نظر العامي الجزائري والمغربي الذين هما غربيان شريران في نظر العامي التونسي - تغيرت الأوضاع واضحى العامي لا يحس بالغربة في أي بلد من البلدان الثلاث بل أكثر من ذلك يحس بأنه في وطنه، وأن الأجنبي على هذه الأرض إنما هو ذلك الأوروبي المستعمر ولا أحد سواه [1].

ولّد هذا الوعي حساسية شديدة ازاء أي دعوات "شعوبية" من أي جهة صدرت، فقد كان رد الفعل قويا وعنيفا ضد مقال للهادي الملولي مدير إحدى المدارس العربية في صفاقس ينتقد فيه الجرائد التونسية اهتمامها بقضايا المغرب العربي ويدعوها إلى الاكتفاء بالقضايا التونسية. واعتبر فيه مجلة الثريا مثلا "مجلة مروكية تطبع في تونس"، وذكرت "الأسبوع" انها تلقت كما هائلا من الردود من أهل الفكر من الأقطار الثلاث، واكتفت بنشر رد واحد [2] اعتبرته كافيا لتقريع هذا "الشعوبي" وانبرى صاحب الرد يسفه هذه الدعوة الإقليمية. ويتساءل عن تركه في منصبه يُنفث سمومه في جيل كامل من أبناء المغرب العربي" على العكس ما يفعله هو - باعتباره مديرا لمدرسة الحديث بتلمسان - بإفساحه حيزاهاما - لغرس الروح المغاربية في تلامذته - في برنامجه التعليمي، وأعطانا نماذج من ذلك أشعارا وأناشيد.

---

[1] عبد الرحمان بن العقون، "وحدة الشمال الإفريقي يجب ان تحقق قلبا وقالبا"، الأسبوع، 01 اوت 1948، ص 03.

[2] محمد الصالح رمضان، في التربية القومية إلى الأستاذ المربي بمدارسنا العربية، الأسبوع، 04 ماي 1947، ص 03.

هذا العمل التربوي الداعم للشعور بالوحدة المغاربية - الذي يزداد مع ازدياد القهر الاستعماري - يعتبر غير كاف لوحده، بل لا بدّ من تدعيمها بالفن [1] والثقافة [2]، وخصوصا الاقتصاد [3] أي خلق بجانب الوحدة المعنوية الوحدة العملية المادية [4]، لتكون متكاملة والوعي بها أمتن وأدوم.

---

[1] حديث صحفي مع محي الدين باشترزي، الأسبوع، 18 جويلية 1949، ص 12.

[2] إسماعيل العربي، المؤتمر الثقافي رمز وحدتنا الفكرية، الأسبوع، 07 نوفمبر 1949، ص 03.

[3] السائح الاقتصادي الجزائري، فتح جديد في الاقتصاد الجزائري، تأسيس شركة الأمل، الزهرة، 07 ماي 1947، ص 02.

[4] عبد الله ميمون، المصدر السابق.

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية

1. الدّعوة لتعليم المرأة

في مجتمع تسعة أعشار أبنائه خارج اطار النظام التعليمي الفرنسي، إنها إرادة الاستعمارالفرنسي، في اطار سياسته الرامية إلى تجهيل الشعب الجزائري، قصد مزيد إحكام السيطرة عليه.

مثلت الفتاة نسبة كبيرة من هذاالمجتمع الجاهل [1]. لذا قامت بعضهن بالمطالبة بحقهن في التعلّم، لأن "...واجب كل بنت مسلمة أن تنزع ستار الجهل، تضيء ظلمته بنور العلم..."[2] كماأنهاإن "...خرجت المرأة من ظلمات الجهل [...] وأضاء نور العلم الزاهر قلبها[...] لتهتدي به إلى الحياة الجميلة أمكنهاأن تخدم أمتها[...] وأن تبني لأبناء الجزائر مستقبلا باسما[...] وتسهر على سعادتهم، وتخفف من شقائهم وتكون [كوكبا] دريا يلمع في سماء الحياة، ونبراسا قويا يسطع في جو الجزائر خصوصا"[3]. وحجتهن في ذلك الأمر"... أن البنت في الدار كالقلب في الجسم إذا فسد القلب فسد الجسم كله

---

[1] Germaine TELLION. L'Algérie en 1957, éd. Minuit, Paris, 1957, pp 68 - 69.

[2] حليمة مهدي، البنت المسلمة تطالب بالعلم والمعرفة، الأسبوع، 20 ماي 1951، ص 06.

[3] ليلى بن قياب، واجب المرأة بالمنزل، الأسبوع، 15 اوت 1949، ص 03.

وإذا صلح القلب صلح الجسم كله، والبنت في الدار إذا كانت صالحة صلح كل من كان معها، وإذا كانت فاسدة فسد كل من كان معها"[1].

لهذا لا بدّ من صيحة فزع تطلقها الألسن لإيقاظ هذا المجتمع الراكد لأن "... الدعوة إلى الحياة بغير علم سفه وجنون، والدعوة إلى النهضة والتفكير بدون ثقافة تضليل وتزوير..."[2] والفتاة الجزائرية أولى بهذه الصرخة أن "...استيقظي من سباتك الطويل للعمل والكفاح ومشاركة العاملين في الاجتماع فليس من المعقول أن تلدي الأحياء يقتلون الحياة [...]الشعب الجزائري المنكود يناديك من أعمق أعماق الضمير أن تلدي له الحياة كما كنت - ولا زلت - تلدين له الأحياء. والسبيل الأول[...] هو سبيل العلم ولا سبيل يضمن لك النجاح إلا هذا السبيل"[3]. إنها في نظر البعض "... المدرسة الخطيرة التي يجب أن تخلق من الأطفال أسودا لا ترهب المنون، لا ثعالب تخاف من ظلها..."[4].

إن هذه الصرخات، أن "علّموها، علّموها أو إلى الموت فادفعوها"[5]، لم تجد دائما الصدى الذي تستحقه فإن كان أحمد توفيق المدني مثلا، دعا إلى"... تعليم وتهذيب المرأة والخروج بها إلى العمل في الميدان الذي أعدت له"[6].

---

[1] خيرة صبري، "زوال الجهل"، الأسبوع، 23 جانفي 1950، ص 11.

[2] أنيسة بومدين، "نداء إلى السيدات والفتيات الجزائريات من جمعية الفتاة العربية الجزائرية"، الأسبوع، 15 أوت 1948، ص 07.

[3] نفس المصدر.

[4] الأمين عبد العزيز، المصدر السابق.

[5] الصالح الجموعي، "الاحتفالات بالمولد بقسنطينة"، الأسبوع، 09 جانفي 1950، ص 11.

[6] أبو سعيد، "جمعية الفتاة العربية الجزائرية في احتفالها العام" الأسبوع، 9 ديسمبر 1948، ص 07

وهذا موقف يحسب له وللتيار الاصلاحي الذي يمثله، فإن آخرين يمثلون تيارا "رجعيا"... ما زال يفكر بعقلية القرون الوسطى التي ترى في تعليم البنت حراما..."[1]. ويرى أن الفتيات اللواتي يترددن على المدارس لم يتعلمن غير الوقاحة وفسدت طباعهن وأخلاقهن، وأضحت البنت تخطب في الجامع وفي قاعات الأفراح ولا يتطرق الحياء إلى جبينها، بل ويرى أن السماء أمسكت عنهم غيثها عقابا لهم على ذلك الأمر [2]وترد الفتيات من ناحيتهن أن هذه الوقاحة إنما هي النشاط والنبوغ، ويحلفن بأن "... بنت متعلمة وقحة خير من بنت جاهلة (كالزير المتكي، ما تضحك ما تبكي)..."[3]، ويبشرن أن قضيتهن قد انتصرت رغما عن الرجعيين، وحجتهم في ذلك إحداث فروع في جامع الزيتونة والقرويين لتعليم المرأة، وذلك لأن جامع الزيتونة" هو قبلة الأمة ومرجعها في الملمات فإذا كان للنساء فيه قدم ومكانة فإنهن يشاركن الرجال في كل شيء وربما بلباقتهن يستحوذن على كل شيء..."[4] وكن يحلمن آنذاك بأن تغطي كتابات متخرجات الزيتونة والقرويين صفحات الجرائد، وكتبهن تتصدر واجهات المكتبات [5]. أما اليوم فيبدو هذا حلما تافها مقارنة بما حققته المرأة، لكن في وقته كان حلما كبيرا بحجم الجهل المستشري في البلاد خاصة وسط الإناث اللواتي طرحن السؤال المتعلق بالمسؤول عن تفشي ظاهرة الجهل.

---

[1] محمد الطيب السحيري، "مغرور"، الأسبوع، 20 جوان 1955، ص 03.
[2] نفس المصدر.
[3] الصالح الجموعي، المصدر السابق.
[4] حمزة بوكوشة، "مع امرأة في القطار"، الأسبوع، 02 جانفي 1950، ص 11.
[5] المصدر نفسه.

خلاف الوجود الاستعماري الذي [illegible]
[illegible] من الواقع [illegible] الذي [illegible] إلا أن [illegible]
[illegible] في الأمر، فالسياسة [illegible] الجزائري [illegible]
[illegible] من السياسة [illegible] [1] [illegible]
[illegible] والمستعمر [illegible]
حتى أصبحت [illegible] أن كل [illegible]
أن يحارب ويقاوم.[1] كما أن للأمهات دور في ذلك خاصة الجزائرية
التي تعودت أن يستخدمن [illegible] في مساعدة الجيش [illegible]
من كسو وغسل وطبخ [...] ولا [illegible]
[illegible] وإفساد لعقلها.[2] [illegible]
من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [illegible]
والفساد وهذا الظلم [illegible] [...] [illegible]
وطنها العزيز، وتقطع به تلك القوة [illegible].[3]

2. الزواج ومشكلة الزنى

لم تتوقف أدواء المجتمع الجزائري عند [illegible]
إلى داء يوازي الأول في خطورته، خاصة في مجتمع محافظ كالمجتمع الجزائري
حيث تحتل قيم الشرف والعرض مكانة متميزة [illegible]
المجتمع الجزائري أن الزواج هو الحصن [illegible] لإنقاذ تلك القيم من الانهيار،

---

[1] [illegible]، المصدر السابق.
[2] المصدر نفسه.
[3] [illegible]، المصدر السابق.

إلا إن استفحال العنوسة والعزوبية في أوساط الشباب هو ناقوس الخطر على الخلل الذي ينخر المجتمع.

لقد اعتبر البعض أن نسبة العنوسة مست 90 % من الشباب [1]، رغم ما في هذه النسبة من مبالغة، فإنها تظهر مدى التخوف من انعكاسات الظاهرة على البنيان الاجتماعي. وهذا أول الطريق لمعالجة الظاهرة.

كان غلاء المهور على رأس القائمة المسؤولة عن هذه الظاهرة، فمثلا عام 1949، كانت تكاليف العرس تقدر في حدود 250 ألف فرنكا [2] : وهو مبلغ ضخم بحساب أسعار سنين قريبة فما بالك بعام 1949، حيث الفقر والبطالة ونتائج الحرب العالمية الثانية الكارثة وخاصة الاقتصادية منها [3] أما المحظوظ الذي يملك منصب عمل، فإن متوسط الأجر اليومي لا يفي بالضروريات [4]، أما أن يوفر المرء منه تكاليف الزواج فذاك حلم بعيد المنال.

تحمّل الآباء جزءا كبيرا من النقد لمغالاتهم في مهور بناتهم "... شرطا مشرطا لا صداقا معقولا [...] وإلا عضلوهن، وإن طالت السنون طوعا لإرادتهم الخسيسة واجحافا بحقوق بناتهم عليهم وخروجا عن واجب الرعاية..." [5]، وهم لا يدرون بأنهم بهذا العمل قد "... جعلوا بناتهم بضائع

---

[1] عبد القادر هالي، ثورة الأوانس، الأسبوع، 02 مارس 1949، ص 11.

[2] المصدر نفسه.

[3] إبراهيم أو حيدة. كيف يتحقق السلام ؟. ج 1، الأسبوع، 21 فيفري 1949، ص 09.

[4] Voir : Albert CAMUS, actuelles III, chroniques algériennes : 1939 - 1958, éd. Gallimard, Paris, 1958, reproduite par l'imprimerie floch en 1981.

[5] إبراهيم أبو حميدة، الأمة عليلة وأخطر أدوائها الزنى، فمن لنا بالدواء الناجع، الأسبوع، 26 ديسمبر 1949، ص 03.

محتكرة وأعراضا مبتذلة..."[1]، إلا أن الآباء في نظر البعض لا يتحملون المسؤولية لوحدهم، فالشباب لهم نصيب فيها فـ"... إذا كنا [كما يقول قائلهم] نحمل على الآباء ملاما وعتابا فقد يستحقون المعذرة إن هم أنفوا من سوء خصالكم وقبيح أعمالكم اذ بناتهم أعز شيء لديهم فلا ينبغي أن يضعوه عند فاجر سكير أو مقامر شرير وعاهر حقير. وهل يجعل العسل النقي في إناء متسخ قذر ؟"[2].

إن تحميل المسؤولية لهذاالطرف أو ذاك لا يحل مشكلة العنوسة هذا "... الخطر المحدق بالوطن برجال الجيل القادم..."[3] مما يؤدي آليا إلى ما هو أدهى وامر "تزايد عدد الأجانب [بالجزائر] مواليد وقادمين للبلاد [مما يعني]أنه سيصبح يوما ما عددهم أكثر من عدد الأفارقة [يقصد الجزائريين أصحاب الأرض]"[4]. هذاالشيء الذي يبيّن لناأن الجزائريين كانوا واعين بالانعكاسات السياسية على المدى الطويل على الوطن، وليس على المدى القصير فقط من خلال استشراء الفساد في صلب المجتمع الجزائري وأخطره الزنا فـ"... من غريزة الرجل والمرأة أن يميل أحدهما إلى الآخر وإذا لم يُجمع بينهما بطريق شرعي فلا بد من أن تجمعهما الفاحشة"[5].

---

[1] المصدر نفسه.
[2] المصدر نفسه.
[3] عبد القادر هالي، المصدر السابق.
[4] المصدر نفسه.
[5] إبراهيم أبو حيدة، الأمة عليلة وأخطر أدوائها الزنى، فمن لنا بالدواء الناجع.

اهتم الجزائريون بهذه المشكلة لخطورتها على تماسك المجتمع الجزائري، فحاولوا تشريح الظاهرة، تمهيدا للقضاء عليها. بخلاف المشاكل المترتبة عن عدم قدرة الشباب التزوج في زمن أضحى فيه الزواج "...عقد تجارة لا عقد تحصين..."[1].

كالعادة صب الجزائريون جام غضبهم على الاستعمار الذي فتح "... أبواب العهر في وجه الشبيبة كإعداد الفنادق ومحلات البغي [حتى يكون له الشعب] دابة مركوبة أو سائمة مأكولة..."[2]، وشجّع "البغاء العلني" حتى أضحت المومساتذات نفوذوسطوة لدى السلطات الاستعمارية والويل لمن يثر غضبهن عليه[3] – طبعا من الجزائريين –.إن هذا لا يعني أن كل مشاكل المجتمع الجزائري سببها الاستعمار بل إن في رحمه أسباباأخرى. فغياب التربية والتعليم سبب مساعد على انتشار هذه الظاهرة. فإذا "...كان الطفل لم يغذ منذ الصغر بحسن الأخلاق وطيب الخصال شب بالطبع على الميول إلى اللّذة من غير وازع..."[4] حتى النساء والرجال لهم نصيب كبير في انتشار هذه الظاهرة. النساء – حسب ما يرى البعض – "... تلقى [هذه] منهن السافرة، مبالغة في الفجور المتين لا قصد التمدّن كما تدعّين، والمتردية لحاف النفاق والتمويه لالحاف العفة والتنزيه يترددن على الأنهج والشوارع وماأكثر ترددهن ليلا اصطيادا لما عسى أن يقع في [اشراكهنّ]..."[5] وذلك بسبب أنه

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه.

[3] الحواس الميلي، مجتمعنا في تدهور وواجب إنقاذه، الأسبوع، 31 اوت 1950، ص 08.

[4] ابراهيم ابو حميدة، المصدر السابق.

[5] المصدر نفسه.

اصبح "...من الميسور لديهن التبرج سافرات في الشوارع والمتنزهات ودور السينما..."[1]. أما مسؤولية الرجال فلأن البعض "... يقضون بياض نهارهم وسواد لياليهم في المقاهي وموائد القمار على حساب سقوط زوجاتهم وبناتهم في أحبولة الدعارة وفخ الشيطان..."[2].

إن الجمعيات السياسية والدينية، خاصة العلماء - لم تسلم من الانتقاد وتحميل المسؤولية، فدعيت إلىالابتعاد عن التوافه والتركيز على الاستعمار وتدارك المجتمع قبل "...تفاقم الداء [فتشن] حربا شعواء [...] على الانحلالالخلقي"[3].

إذن أين الحل في مجتمع "... بات مسرحا تمثل على خشبته أدوار التخنث والتنطّع وضروب الفجور والمجون..."[4] ؟ يرى البعض ذلك في دعوة الشباب الجزائري إلى التكتل في سبيل تأسيس جمعية للشبان المسلمين

"لتذود عن حياض العروبة والاسلام"[5] على شاكلة ما هو واقع في تونس فما "... محافظة تونس الشقيقة على حذق القران الكريم وتعليم البنت تعليمااسلاميا، روحيا يؤهلها للقيام بوظيفتها العائلية والمنزلية، وأداء

---

[1] الحواس الميلي : المصدر السابق.
[2] المصدر نفسه.
[3] المصدر نفسه.
[4] المصدر نفسه.
[5] C.F. Mustapha KRAÏEM: La classe ouvrière tunisienne et la lutte de libération nationale (1939-1952), imp. U.G.T.T., Tunis, 1980, p 344.

رسالتهما الاجتماعية على الوجه الأكمل إلا بجمعية الشبان المسلمين[1] والفضل يرجع اليها وحدها[2].

3. حرية المرأة بين مؤيد ومعارض

موضوع ما زال إلىاليوم حديث الساعة مع نفس المواقف وإن كان بصيغة متطورة، ربما ما ذكرنا سابقا له علاقة وثيقة بهذاالأمر،إذ إن بالنسبة إلى مؤيدي حرية وحقوق المرأةأو معارضيهم.

كان البعض - خاصة الفقهاء - يعتبرون المرأة عورة، واسمها عورة وصورتها عورة [...] [ويرون أن] تيار السفور جارف وأن قنبلة هذه المشكلة ستنفجر انفجارا هائلا[...] والمرأة الجزائرية المسلمة [...] في بحر متلاطم الأمواج لا تحسن السباحة فيه ولم تجد منارا تهتدي به في ظلمات الحياة والمسؤولون عن إصلاح المجتمع في غفلة عن ذلك معرضون، والويل لهم يوم يجرفهم السيل وتسيطر المرأة على كلّ شيء ولن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة[...] فإنها إذا انحرفت قيد شعرة عن سمتها تؤدي بحياة جيل كامل في هاوية سحيقة ما لها من قرار..."[3] ويبدو أنهم شنوا حملة على الشيخ مصطفى حلوش، من خلال جريدة البصائر حينما كانت تحت رئاسة الشيخ الطيب العقبي وذلك لمطالبته بتحرير المرأة من قيودها.

---

[1]Ibidem, p 360

[2] الحواس الميلي، المصدر السابق.

[3] حمزة بوكوشة، المصدر السابق.

فاعتبر دعاة تحرير المرأة هذاالأمرتزمتا مصطنعا، أرجع المجتمع ككل إلى الوراء، ونضال المرأة من أجل حقوقها مشروع، "... [فـ]أي طائر في قفص ولا يريد الخروج منه؟ وأي مقيد يمشي في الوحل، ولايحاول التخلص من قيده"[1]. وهم يتعجبون من كتّاب في الجزائر "... تطاوعهم أقلامهم في كلّ شيء إلا في هذاالموضوع فكأنه ملفوف بعقارب ومحاط بأشواك، فمتى يدركون أن لا حياة لأمة إذا ماتت الأمو الأخت والزوجة والبنت"[2]. فتحرير المرأة جزء من تحرير المجتمع من قيوده وأولا من مظاهر تخلفه.

4. من مظاهر التخلف في المجتمع الجزائري

"الاستعمار لم يترك منفذا ينفذ منه إلىجسم هذاالشعب المكلوم إلا وطرقه، وله في ذلك افانين واذناب طوع أمره، وفي جملة هذه الشرور التي تنخر في جسد هذاالشعب البائس، الذي ابتلاه الله بالجهل ثم بالاستعمار الذي يأخذ على عاتقه أينما حل - حماية هذا المرض الفتاك والقيام على ترعرعه بين أفراد الأمة وطبقاتها وبث روح الشقاق بسببه بين هيآتها، شر التبذير..."[3].

تعتبر عادة الزرادي أوالطعم[4] إحدى الخرافات التي شجعها الاستعمار بواسطة أذنابه لإفقار هذا الشعب ونزع آخر ما بقي في يديه من ممتلكات.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه.

[3] م.خ، هل الجزائر في تقدم، الأسبوع، 31 اكتوبر 1949، ص 04.

[4] احتفال في العادة سنوي يقام باسم أحد أولياء الله الصالحين، جلبا لبركته ودفعا لضرره.

فأنت ترى الفلاح البائس يشارك في الزردة [1]. إما عن عقيدة، رغبة في رضاء سيدي فلان أو في عدم التعرض لسخطه وهو في القبر أو نفاقا و رهبة من الأذناب الذين قاموا بالدعوة لها. لئلا يوشوا عنه أسيادهم بالذي تخلف عن إجابة دعوتهم والمشاركة في طعامهم وزردهم، وإما خوفا من شماتة الجار والعشيرة. فيقوم هذا البائس برهن أرضه واكترائها لجاره المعمر لأجل طويل بثمن بخس.

أما المعدمون فأنهم يسخّرون – من طرف الأذناب، الطامعين في النياشين، ُوالشيعات ُ[2] – للعمل أيام الزردة، بدعوى أنها ُزيارةُ، وإلا كان مصيرهم النبذ والهجران.

أماالأذناب فأنهم لا يغرمون شيئا، إنما خسائرهم من الخزائن التي تعمر بدماء الشعب وعرقه، بطريقة أو بأخرى.

الفائدة الحقيقية من هذه الأعمال هي النتيجة التي يجنيها المعمر من وراء هذا التبذير فيستحوذ على ما بقي من آراض ودور في يد الأهالي على قلتها وعلى اختلاف الوسائل المساعدة من خمر وقمار وزنا ووظيف ورشوة ونياشين [3].

وقد هوجمت هذه العادة هجوما شرسا، خاصة من قبل جمعية العلماء، نظرا لنتائجها الوخيمة على اقتصاد البلاد عامة، ونال الداعين اليها

---

[1] مفرد الزرادي.

[2] بمعنى شيوع ذكر الشخص.

[3] م.خ، المصدر السابق.

والعاملين عليها نقد شديد من خلال الطعن في نياتهم المعلنة لتبرير إقامة الزرادي، فيقول المتقدون : " ما لنا لا نرى هؤلاء الفلاحين مشتدّين في إخراج الزكاة التي أمر الله بها كل من يدعي الاسلام[...] لو كان قصدهم ارضاء سيدي فلان لجمعوا عُشر تلك الأموال[يقصدون تلكالأموالالتي تصرف في الزرادي] وبنوا بها مدارس لفقراء القبيلة، أو مداشر لسكن مساكين العشيرة أو تقريب الحياة أو تعبيد الطرق أو بناء الجسور، أو شراء قطع من الأرض وتحبيسها للدفن، ولهم ان يسموا هذه المنشآت بمنشآت **سيدي فلان، ونحن نضمن لهم رضاء الرب، ثم رضاء الذي ارادوه إن كان حقا ما يزعمون**"[1] .

وكراء أراضي الكومين[2] طريقة أخرى للاستحواذ على أموال الشعب الجزائري، وفي نفس الوقت بث الضغينة والفرقة في صفوفه أي ضرب عصفورين بحجر واحد. بمعنى تفقيره وخلق الشقاق في كيانه. وهذا نموذج من الدهاء الاستعماري، والمتمثل في عملية كراء الأراضي البلدية للجزائريين - والتي هي في الأصل ملك لهم صودرت مَنهم - حيث يكيّفون حياتهم لأربع سنوات، مدة عقد الكراء، يقع الشقاق منذ المزاد العلني. من خلال تخاصم الناس على الفوز بالكومين والنتيجة رفع أثمان الكراء إلى أعلى المستويات بما يفيد خزينة البلدية الاستعمارية -مع العلم أن الأغلبية العظمى من هذه الأموال تصرف على مصالح الجالية الأوروبية- .

---

[1] م.خ، المصدر السابق، والتسطير خاص.

[2] الكومين : تحريف لكلمة Terre communale اي الأراضي التابعة للبلدية.

ولا يتوقف الأمرعند هذاالحد، بل يتواصل التشاحن بالخصومات اليومية المتكررة - بين الكرائين - بالعصي ولا تنته هذه المعارك إلاأحد الأطراف في المستشفى والآخر في السجن، لمجرد أن حيوان أحد الخصمين دخل حدود كومين الطرف الآخر وهكذا دواليك، ومعها يضمن المستعمر عدم اتفاق الناس عليه [1].

---

[1] بوعلام ابن الزرقة، يوم الكراء، الصباح، 15 أفريل 1956، ص 03.

الفصل الثالث: الحياة الدينية والعلمية

1. الحياة الطالبية

قدّر عدد الطلبة الجزائريين سنة 1947 بسبعمائة طالب كلهم يدرسون في جامع الزيتونة [1]. وكان لا بدّ لهذاالعدد الكبير من رابطة تجمعه. وكانت عودة "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" ضرورة خاصة بعد توقف النشاط كلية ابان الحرب العالمية الثانية وبعد انتخابات نوفمبر 1946 والتي أتت بالشيخ عبد الرحمان شيبان على رأس الجمعية، رأى هذاالأخير إعادة التعريف بالجمعية وإعادة ربطها بالطلبة الجزائريين - والذين يبدو أن الكثير منهم لم يعاصر المرحلة الأولى من عمر الجمعية (1934-1939) - فكتب مقالا مطولا في "الأسبوع" [2] تناولفيه تاريخ الجمعية منذ تأسيسها إلى غاية ترؤوسه اياها وذكر أنها في المرحلة الأولى إنما ركزت على العمل الأدبي . وأهملت الجانب المادي للطلبة نظرا لوضعيتها المادية المتردية، والتي تواصلت مع عودتها إلى الساحة.

---

[1] تلميذ جزائري، "الجزائر والحي الزيتوني"، النهضة، 07 سبتمبر 1947، ص 04.

[2] عبد الرحمان شيبان، "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين"، الأسبوع، 30 مارس 1947، ص ص 04، 08.

هذه الوضعية المأسوية دفعت الطلبة من خلال جمعيتهم إلى طلب المساعدة من اخوانهم الجزائريين المقيمين بتونس[1]. ورغم الأزمة الاقتصادية الحادة وحالة الخصاصة السائدة - بعد الحرب العالمية الثانية - في الجزائر وتونس على السواء[2]. فقد استجاب هؤلاء لهذاالطلب "المستعجل" قدر استطاعتهم، وكان أهل ماطر من المسارعين لنجدتهم، مما حدا بالكاتب العام للجمعية إلى التنويه بعملهم من خلال نشر أسماء المتبرعين[3] تنويها بهم وحثا لغيرهم على التبرع. ولكن تلك الهبات لم تكف، ففكرت جمعية الطلبة الجزائريين في القيام برحلة إلى ربوع القطر الجزائري خلال عطلة المولد النبوي الشريف (العام 1367هـ-1948م) لعرض احدى المسرحيات العربية الخالدة وقد وقع الاختيار على مسرحية - طارق بن زياد - لما فيها من الذكريات الماجدة والمغازي السامية[4]. الشيء الذي ساعد الجمعية على القيام ببعض من واجباتها في مساعدة الطلبة الذين كانوا في غالبيتهم العظمى فقراء باستثناء الطلبة المنحدرين من ميزاب الذين كان لهم تنظيمهم الخاص يشرف عليه أحد علماء ميزاب وميزانيته يمولها بالخصوص التجار من المذهب الإباضي، الشيء الذي مكّن هؤلاء الطلبة من التعلّم في ظروف

---

[1] عمار التجار الجزائريون المقيمون بتونس في إعانة الطلبة الجزائريين بتونس، الزهرة، 19 فيفري 1948، ص 01.

[2] الكراي القسنطيني، أزمة ما بعد الحرب أم تأزم اجتماعي : الفقراء بتونس 1949 من أعمال الندوة الدولية الخامسة حول البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب (1945-1950)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1991، ص ص 88-90.

[3] بلغ المبلغ المتبرع به 127 الف فرنك اما أصول غالب المتبرعين فتعود لمنطقة سطيف والقبائل.

[4] الأسبوع، 21 مارس 1948، ص 07، المسرحية طافت الشرق الجزائري وباعت في قسنطينة صورة لابن باديس بـ 90 الف فرنك وأخرى لمصالي الحاج بـ 30 الف فرنك.

مقبولة [1]. هذه الظروف السيئة مست أيضا الطلبة الموجودين في الجزائر. فها هم طلبة معهد ابن باديس، يناشدون رجال العلم والأدب عامة والمؤلفين والناشرين خاصة بأن يتفضلوا على مكتبة المعهد الباديسي بما تجود به هممهم وغيرتهم على انتشار الثقافة بهذه الربوع. إذن سواء كان الطالب في الجزائر أو تونس فإن الظروف متشابهة بل متطابقة حتى في الانقسام السياسي.

لقد أدى الاختلاف في الوجهة التي أتى منها كل طالب إلىحدوث نوع من التكتل. فتكتل المتخرجون من مدارس جمعية العلماء أو من معهد ابن باديس - في "بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" واستقل مؤيدو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بجمعية الطلبة الجزائريين. وجمع طلبة وادي ميزاب الانتماء للمذهب الإباضي، وهناك مجموعة رابعة قليلة العدد يجمع بينهم الانتساب إلى "الكتانية" ومعهدها في قسنطينة. "يبقى غالبية الطلبة الجزائريون لا يهمهم إلا تحصيل العلم لا يرغبون في الانخراط تحت أي لون سياسي" [2].

يبدو أن الانقسام والاختلاف بين توجّه جمعية العلماء ونظيره "حركة الانتصار" قد بلغ حدا كان لابد معه من تدخل العقلاء من الجالية الجزائرية بتونس - لإصلاح ذات البين. وفعلا صدرت دعوة موقعة من التنظيمين للكف عن الخلاف : "لأن التآخي الوطني والرابطة العلمية يقضيان على كل

---

[1] محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس : 1900 - 1962 الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طرابلس.، الجزائر، 1983، ص 101.

[2] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي. مؤرخة في 17 مارس 1999.

تلميذ جزائري أن يترفع عن كل ما من شأنه أن يصدع وحدتنا وينال من اخوتنا - يواصلالنداء - وإن هجرتنا المباركة لتوجب علينا أن نتماسك ونتعاضد في كل أعمالنا وأن نبذل كل ما في الوسع لتحقيق الغاية الشريفة التي هاجرنا من اجلها..."[1] إلاأنه من المؤكد أن الخلاف لم ينته بين الطرفين وإلا ما صدرت عن توفيق المدني دعوة صادقة لترك الخلافات الحزبية والاهتمام في هذه المرحلة بتحصيل العلم فقط لحاجة الأمة إلى ذلك [2]. وحتى هذه الدعوة لم تجد آذانا صاغية في وقت كانت فيه الدعوة إلى الاتحاد عملة رائجة في الجزائر [3]. لذا أجبر عبد الحميد بن هدوقة على كتابة مجموعة مقالات حول رسالة الجمعيات [4]أو صلته إلى قناعة أن كثرة الطلبة هي سبب الانقسام مستشهدا بجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين وجمعيّة طلبة شمال افريقيا. ويتساءل عن انحلال عقدة الاتحاد في وقت لم يتغير فيه شيء من الظروف الخارجة عن نطاق الجمعيات ؟ ليخلص إلى أن هذا حدث بسبب الاندفاع مع العاطفة "...اندفاعا مقيتا ضاعت معه قوانا وتلاشت حيويتنا بين الأنانيات[...] وبذلك اتحنا - يواصل بن هدوقة - للمستغلين أن ينتفعوا بتخاذلنا واندفاعنا..."[5] ومن ذلك فإن المهمة الأساسية في تلك المرحلة - حسبن هدوقة - هي "... تحرير الشباب من عواطفه وتوحيد صفوفه

---

[1] "نداء إلى الطلبة الجزائريين الزيتونيين"، الزهرة، 20 افريل 1948، ص 02.

[2] م.ع،"جمعية العلماء"، الأسبوع، 02 افريل 1951، ص 06.

[3] Henri ALLEG (s. dir.), la guerre d'Algérie, T1, éd. temps actuel, Paris, 1981, p 326.

[4] اربع مقالات بتاريخ 21، 28 مارس، 18 افريل، 23 ماي 1954 بجريدة الصباح.

[5] عبد الحميد بن هدوقة، "رسالة الجمعيات" ج 03، الصباح، 18 افريل 1954، ص 03.

وتبصيره بعواقب اندفاعه..."[1] والاتحاد يحقق للشباب الطالبي هدفين على الاستعمار الاختيار بينهما.

- إما أن يسحقهم، وهذا شيء مستحيل لأن الطغيان كالأخدود فيه حتف الطاغية، كما أن الضغط دائما يولد الانفجار.

- وأما أن يذعن لما يريدونه وتتحقق مصلحتهم [2] وتوقهم إلى التحرر كهدف نهائي والتعلم والتحصيل تحقيقا لرجاء الأمة فيهم من هذه الهجرة [3] كهدف مرحلي.

ويبدو رغم محاولة جمعيته دفعهم إلى ذلك، مما يجعلنا نستنتج أن الانقسامات إنما كانت في قمة تلك التنظيمات المتنافسة "لها ما يبررها ما دامت هناك معطيات نظامية لكل توجه"[4] وهذا لا يعني عدم تجنّد تلك الأغلبية في القضايا المصيرية.

ولذا نراها تساند إخوانها الزيتونيين التونسيين في كفاحهم من أجل ادخال الاصلاحات على النظام التعليمي الزيتوني في الفترة ما بين 1950-1954 [5] فشارك الطلبة الجزائريون بفعالية في انجاح الإضرابعن الدراسة

---

[1] المصدر نفسه.

[2] عبد الحميد بن هدوقة، "رسالة الجمعيات"، ج 04، الصباح، 23 ماي 1954، ص 03.

[3] الأمين بن بلقاسم، "جمعية الطلبة الجزائريين تحتفل بعيد العروبة"، الأسبوع، 06 أفريل 1947، ص 05.

[4] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي السابقة.

[5] أنظر علي الزيدي، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية (1951-1965)، منشورات مركز البحوث في علم المكتبات والمعلومات، ع 16، تونس، 1986.

والذي دام عاما كاملا ابتداء من أفريل 1950 [1]. وكذا إضرابات الجوع التي ميّزت هذه الفترة [2] كيف لا يفعلون ذلك وقد جاءتهم المساندة والتأييد من طرف الشيخ البشير الابراهيمي [3] كما كان لهم ممثلين في لجنة صوت الطالب الزيتوني [4] التي قادت الكفاح الزيتوني، الشيء الذي زاد من لحمة الإخاء بين الطلبة التونسيين والجزائريين وحتى الليبيين [5].

نضال الطلبة الجزائريين لا يتوقف هنا بل يتواصل بعد العودة إلى الجزائر لكن بطريقة أخرى،حيث تنتظرهم مشاكل جديدة تواجه كلّ متخرّج من الجامع الأعظم [6]، تصبح أمامها مشاكل الدراسة والظروف المحيطة بها لاتساوي شيئا. فالطالب الجزائري ينصدم بالواقع بعد تخرجه من الجامع الأعظم بشهادة التحصيل وسبع سنوات على الأقل من الدراسة، ويعود إلى الجزائر.

هنا يجد الطالب نفسه بين حلين أماأن يعمل في ميدان التعليم أو في أي ميدان آخر. وفي الغالب الأعم، فإنه يختار الحل الأول، على الأقل أنه غير بعيد عن ميدان تخصصه، إلاأن التعليم هو تعليم ابتدائي، أي يصبح هو نفسه

---

[1] محمد العزيز ابن عاشور، جامع الزيتونة : المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص 146.

[2] رابح نكاع بن بوزيد السطيفي، تضامن الطلبة الجزائريين مع إخوانهم المجاهدين الزيتونيين، الصباح، 27 فيفري 1952، ص 04، في هذا المقال أيضا تعاطف مع الشعب التونس في محنته أمام القمع الاستعماري.

[3] البشير الإبراهيمي، تضامن وتأييد، الزهرة، 29 أفريل 1950، ص 02.

[4] محمد العزيز ابن عاشور، المرجع السابق، ص 145.

[5] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي السابقة.

[6] اعتمدت على مقال الجنيدي خليفة، قلق المصير، الصباح، 27 جوان 1954، ص 03.

مبدأ أو قريب من ذلك ورغم ذلك فإنه يختاره على أساس أن جوه ثقافي قد يوفر له بعض الوقت للمطالعات الخاصة. هذا لا يعني أن الأمر بكل هذه السهولة فللدّخول إلى هذا الميدان يلزمه وساطات ومعارف، وحتى شيء من الحظ لقلة المناصب. ومع كل هذه القرابين فإن "... مهنة التعليم لا تخلو من الشعور بالضيق والكدر..." تجعل بعض المعلمين يتمنون العودة إلى عهد التلمذة على ذلك، أماالمعلم اذ اراد الزواج فتلك عقبة أخرى- مع ما ذكرنا سابقا من تكاليف الأعراس المشطة -، وقد تكون العائلات المثقفة ثقافة عربية هي الأكثر رحمة بالمعلم ربما لتشابه الظروف أو تماشيا مع المثل الشعب القائل أعطي بنتك إلى طالب حتى تجد لها راجل".

وبعد كل هذه المعوقات يتجه المتخرج من الجامع الأعظمإلى البحث عن مهنة أخرى"...وهنا يجد نفسه مضطرا لأن يلغي ثقافته كوسيلة لكسب المعاش وكثيرا ما تصادفه هناأزمة نفسية شديدة [...] تنفجر من استعراضه ماضيه الضائع والظروف الراهنة. لقد جففت شبابه سنوات الدراسة فتركته ضعيفاأصفر كورق التبغ، وكان يحسب نفسه مثقفا فإذا الواقع يريه أنه جاهل يستدر الرثاء، فما هذه الثقافة التي لا تتجاوز لغة ودينا بروح جامدة، ومنهج عقيم، رباه لا ثقافة ولا وسيلة لكسب القوت، وينوي ان يعمل أي شيء يقيه شرالحاجة، ولكن شعورا بما يشبه الكرامة يثور محتجا ساخطا، فأما عمل شريف، وأما موت شريف. وقد ينتهي إلىذلك العمل وقد ينتهي إلىما يشبه الموت".

من المسؤول اذن عن هذه المأساة ؟. يتبادر إلى اذهاننا أن الحكومة الاستعمارية هي المسؤولة الوحيدة عن هذاالمصير - والتي لم تعترف باللغة

العربية لغة حية وإن كان دستور سنة 1947 قد اعترف بها، لكن لم يوضع موضع التنفيذ – إلا أن المسؤول الثاني هو الطالب نفسه، ففي سني الدراسة لا يرغب أن يفكر كثيرا في مستقبله، ولعل السبب في ذلك هو خوفه من هذاالمستقبل، وقد علّمه مزاجه الحالم أن يواجه المشاكل بالتأجيل والتعويل على الظروف. وقد غاب عنه أن الظروف ليست تلقائية، ولكن الإنسان هو الذي يولّدها فلا يفاجئ إذاأفاق من حلمه بحقيقة الحياة فيكون رد فعله أن "...ينكس على عقبيه مذموما مدحوراً"[1]. كان عليه أن يعرف أن الثقافة لا تكتسب بالمعاهد، بل بالمجهود الشخصي، وما المعاهد سوى أجواء مساعدة. ولو عرف هذا جيدا لكان يجد العزاء في ثقافة حية أوسع من الدين واللغة. إلا ان هذا الإحساس بالنقص في التكوين الزيتوني لم يتحول إلىالإساءة إلى جامع الزيتونة، بل تواصل الاعتزاز والدفاع عنه في كلّ الظروف وضدّ كل الخصوم.

2. الدفاع عن الزيتونة

للزيتونة في قلوب الجزائريين مكانة خاصة، نظرا للدور الذي لعبته في تكوين الطلبة الجزائريين في العلوم الشرعية واللغة العربية، مماأسهم في محافظة الجزائر على هويتهاالعربية الاسلامية، من خلال تدعيم الحركة الاصلاحية للشيخ عبد الحميد ابن باديس واعضاده، لذا كانت لهم حساسية نحو أي حركة تمس مقام الزيتونة وكانت تقابل بردة فعل عنيفة.

---

[1] عبد الله حوش، الأبد المجهول، الأسبوع، 21 نوفمبر 1955، ص 06.

اتخذ الجزائريون صف الطلبة الزيتونيين المطالبين بالإصلاحات لتعصير التعليم الزيتوني سنة 1951 - خصوصا - الشيء الذي أغضب الحزب الدستور الحر الجديد المشارك في حكومة محمد شنيق التفاوضية، ووصل الأمرين الطرفين إلى حد الصدام الجسدي.

لأن الحزب اتهم الطلبة بأنهم "يعطلون القضية الوطنية ويعرقلون سير المفاوضات بالهاء الحكومة التفاوضية بمشاكلهم الثانوية التي يثيرونها باستمرار..."[1] بل الأكثر من ذلك التصريحات المنسوبة لعلي بلهوان التي يعتبر فيها علماء الزيتونة مصابيح الظلام وطلبته حجرة عثرة في طريق تنفيذ برامج الحزب[2].

وقد حزن الجزائريون لمااعتبروه محاربة للزيتونة وإصلاحات الزيتونة وأشبال الزيتونة لأن "زيت الزيتونة لا يضيء على التونسيين فقط بل نحن [الجزائريين] أيضا نستضيء بنورها"[3]، فالجزائر "... مدينة للزيتونة وأهلها، فعلى كواهلهم بني عرش نهضت [ها]..." لهذا فإن "...أفواج الزيتونة هم دائما وأبدا الحاملين لمشعل الاستقلال الثقافي والسياسي من عهد بعيد..."[4] فكيف تحارب الزيتونة وتهاجم ؟ إنها "مكيدة" نصبت ليس لتونس فقط بل لخمسة وعشرون مليون من سكان المغرب العربي[5].

---

[1] علي الزيدي، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية (1951-1965)، ص ص 125-127.
[2] نصرا إن للبيت رب يحميه، الأسبوع، 23 جويلية 1951، ص 07.
[3] عبد الجليل السعودي، "بلادنا جميعا بالاستعمار"، الأسبوع، 19 فيفري 1951، ص 10.
[4] ع، ج، "روح الوفاء للزيتونة تتدفق"، الأسبوع، 09 أفريل 1951، ص 02.
[5] نصر، المصدر السابق.

تركز الهجوم على شخص علي بلهوان معتبرين تصريحاته إهانة لجهابذة الزيتونة الإعلام..." لذا فهم يستنكرون هذه التصريحات [1] التي لم يستغربوها، إذ لم تكن الأولى. إنما أعادوا إلى الذهان تقريره في اجتماع طلبة بشمال افريقيا سنة 1936 بنادي الترقي بالجزائر العاصمة. كان تقريره من أوله إلى آخره "... طعن وشتم وازدراء بجامع الزيتونة وبعلمائه وتلامذته، وقد صرح ببعض عبارات انزه [الكلام لصاحب المقال] على تسطيرها[...]الشيء الذي تبرم منه كافة الحاضرين..." الأمر الذي استدعى تدخّل توفيق المدني لتفنيد ما قاله الأستاذ البلهوان [2].

واتهم الحزب الدستوري بأنه هو منظم القلاقل في أوساط الطلبة : من سطو واعتداءات على الطلبة والعلماء، معتمدا على تأييد الوزارة التي أدخلت طلبة الزيتونة السجن كما لم يدخلوه في عهد الظلم والظلام [3]. مما يعني اتهامه بطريقة ضمنية بموالاة الاستعمار وتحوله إلى أداة قمع يحركها في الخفاء للقيام بما لم يقم به بطريقة ظاهرة.

ولعل محاولة منهم لحصر مضاعفات الخلاف أو لشعورهم بالعجز عن فعل أي شيء لم يجد الجزائريون إلا مقولة عبد المطلب لأبرهة الحبشي إن للبيت رب يحميه [4].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] نصر، المصدر السابق.

[3] عبد الجليل السعودي، المصدر السابق.

[4] نصر، المصدر السابق.

3. جمعية العلماء

أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيزا كبيرا من الكتابات الجزائرية في الصحافة التونسية، نظرا لدور وأهمية هذه الجمعية في الساحة الجزائرية.

كتب أبناء وأنصارالجمعية كثيرا عن أعمالها، ومجدّوا هذه الأعمالالانشائية التي حققتهاالجمعية، فبعد عودة الطلبة من الزيتونة ومن المشرق أيضا، وتكوّنت الجمعية سنة 1931 في ظرف لم يكن اختياره اعتباطيا، كرد فعل عن تأثيرات خارجية [1] بل أن ذلك راجع بالخصوص إلىظروف الجزائر الداخلية. فقد رسم أنصارالجمعية لنا من خلال كتاباتهم صورة لجزائر متخلفة، مستحكم فيهاالجهل والخرافات [2]. ناهيك عن التحكّم الاستعماري في كل صغيرة وكبيرة، حتى في كيفية كفن ودفن أموات المسلمين [3]. ومن ذلك صوروا لنا حجم الرهان الذي كان على هؤلاء الطلبة أو -كما سموهم العلماء الأحرار [4] - رفعه.

هذا الرهان المتمثل في التخلف المادي والعقلي للشعب الجزائري، فاختار هؤلاء البدء بمحاربة التأخر العقلي للجزائريين، مؤمنين بانه لن ينفع

---

[1]Redouane AINAT-TABET et Fanny COLONNA (pré.), Omar CARLIER, A.E.K. DJEGHLOUL, Mohamed EL KORSO, « lettrés intellectuels et militants en Algérie, 1880-1950 », éd. O.P.U. - URASC, Alger-Oran, s.d, n.p.

[2] محمد الأكحل اليملاوي، "جمعية العلماء هيئة عاملة"، الأسبوع، 27 مارس 1949، ص 03.

[3] الأمين عبد العزيز "أثر المسجد في الحياة الإسلامية"، الأسبوع، 25 جويلية 1949، ص 07.

[4] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، الطبعة الثالثة، 1992، ص 41.

اي إصلاح مادي في حال تم تغييب الجانب العقلي والعملي من هذه العملية [1]. فتوجهت جمعية العلماء إلى ميدان التعليم، فصارعت الجهل حتى صرعته - على حد قول أحدهم [2] - بفضل ما أسسته من معاهد العلم ومدارس التعليم في المدن والقرى والمداشر وبفضل خطبائها في المحافل والنوادي والمجتمعات وبمجهود صحفها ونشرياتها... [3]. وكذا بعثاتها إلى الخارج خصوصا، مصر، سوريا، العراق، الكويت وطبعا تونس [4].

واضافت إلى ذلك عملاآخر هو الاتصال المباشر بالجزائر عن طريق الوفود التي ترسلها من حين إلى آخر إلى أنحاء القطر للتعرف إلى حاجياته ونصحه وإرشاده [5].

كما ذكّرت جمعية العلماء الشعب الجزائري أفراداً وجماعات بوسائلها المفيدة تاريخ الآباء والأجداد، وعزة الاسلام وشرف الاسلام مذكرة إياهم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فعرفوا قيمة أنفسهم وأحلوها المحل اللائق بها وأصبحوا ينشدون حياة الشرف والسؤدد لا يبغون بها بديلا [6].

---

[1] الحفناوي هالي، هذه هي جمعية العلماء، الأسبوع، 20 مارس 1950، ص 10.

[2] أ، ع، أثر الحركة الإصلاحية بالجزائر، الأسبوع، 20 فيفري 1950، ص 05.

[3] المصدر نفسه.

[4] م. د، المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ج 2، الأسبوع، 25 أفريل 1955، ص 07.

[5] العربي التبسي، الحياة الدينية بالجزائر، الأسبوع، 17 ديسمبر 1948، ص 02.

[6] أ، ع، المصدر السابق.

حفظ الشعب هذا العمل للجمعية فأيدها في أعمالها الاصلاحية[1] إما بالانخراط في نشاطاتها أو بالمشاركة بالمال، خاصة وان الجمعية تعتبر أنها واضحة في معاملاتها المالية. فالشعب في هذه الحالة "... لا يحاسبها على الأموال في أوراق بطاقات بين أربعة جدران بل يشخصها أمامها في مؤسسات علمية ودينية"[2]. وهذا شيء يعزز ثقة الشعب في الجمعية.

هذه الثقة تجعلها تتكلم من جانب قوة أمام السلطات الاستعمارية، على اعتبار أنها مسنودة بالشعب الجزائري، لتطالب بإلحاح بفصل الدين الاسلامي عن الدولة اللائكية، بمساجده وأوقافه، وقضائه حتى يكون المسجد صلة روحانية بين العبد وربه لا دسيسة، وحتى تعود للأوقاف حرمتها، ويصب فيضها في إنماء الدين وتوسيع مشاريعه لا في خزائن الدولة وجشعها، وحتى يسترجع القضاء الاسلامي هيبته المفقودة، وجلاله الموهوب، وشموله العام، وطرق احكامه الناصعة التي لا ميز فيها ولا محاباة[3].

الملاحظ في هذه المطالب أنها تقتصر على الجانب الديني فقط. والسبب نجده في هذه الكتابات، فالجمعية - حسب أحمد رضا حوحو - "فوق السياسة وفوق الحزبية، وإنما تطل عليهما من برجهاالعالي لتقول للمحسن أحسنت

---

[1] احمد رضا حوحو، جمعية العلماء في مرحلتها الثانية أو بين الهدم والبناء، الأسبوع، 24 أوت 1947، ص 03.

[2] العربي التبسي، المصدر السابق.

[3] م، د، المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ج 1، الأسبوع، 18 افريل 1955، ص 04.

وللمسيء أساء[1]. وفي نفس الوقت لا دخل لها في الأمور النقابية[2].
والغاية من ذلك أن تترفع عن الخصومات للوصول إلى الهدف الأسمى[3].
ورغم إشارة بلقاسم سعد الله إلى تشابه إدارة الجمعية مع طريقة الحبيب
بورقيبة في إدارة الحزب الحر الدستوري التونسي[4] فإن ذلك بالنسبة
للجمعية لا يخرج عن نطاق التشابه.

لم يعفي عدم تداخل الجمعية في الأمور السياسية من مضايقة السلطات الاستعمارية والتي ندّدت بها كل الكتابات التي اطلعت عليها[5]. فبالنسبة لهذه الكتابات، العدو الأول للجمعية وللشعب الجزائري، هو الاستعمار، فمرة يظهر بوجهه السافر، حين إصداره مثلا قرارات المنع من التعليم في المساجد وقصر هذه الأخيرة على الصلوات الخمس، أو حين تضييقه على النوادي الثقافية للجمعية[6]، بعدما تحولت بطريقة أو بأخرى إلى أماكن التقاء ومنابر ثقافية وسياسية[7]. ومرة مستترا خلف هيآت وأفراد من الشعب الجزائري، والذين اعتبروا مجرد حشرات تمتص دم الأمة، وأكل لحمها[8] أو

---

[1] أحمد رضا حوحو، المصدر السابق.

[2] العربي التبسي، ندوة صحفية، الأسبوع، 05 ديسمبر 1948، ص 03.

[3] المصدر نفسه.

[4] بلقاسم سعد الله، على هامش موضوع البعثة الجزائرية العراقية لجمعية العلماء، الزهرة، 26 أكتوبر 1952، ص 02.

[5] أنظر المقالات السابقة.

[6] العربي التبسي، الحياة الدينية بالجزائر.

[7] Mohamed EL KORSO, "structures islahistes et dynamique culturelle dans le mouvement national algérien, 1931-1954 in Omar CARLIER, op cit, p 56.

[8] المغناوي هالي، المصدر السابق

قوة الجمود الذين هم الطرقيون [1] - الذين تعرضوا إلى هجوم عنيف من طرف أنصارالجمعية – وكذا المثقفين بالثقافة الفرنسية والذين في نظر مؤيدي جمعية العلماء - ينافسونها قيادة الأمة إلى بر الأمان [2]. وفريق ثالث ناصب الجمعية العداء - عن حسن نية وعن جهل - جعلته يحارب الاصلاح الذي جاءت به، حفاظا على عادات الآباء والأجداد وانتصارا لما يراه الدراويش في المنام [3]. ومن جهة أخرى اتُهِمَ [بضم التاء وكسر الهاء] مصلحو جمعية العلماء بأنهم ملحدون، زنادقة، وأنهم كفرة مارقون، وأنهم وهابيون يكرهون النبي وآل النبي (صلى الله عليه وسلم)، أوأنهم صنائع دول اجنبية مأجورون، شيوعيون، نازيون، وفاشيون وانكليز والخ [4]. وحين ما لم تنجح هذه الطرائق، حاولاعداء الجمعية التشكيك في قدرة أعضائها على استخلاف الإمامابن باديس عقب وفاته [5] أو بكل بساطة نسبة أعمال الجمعية لأنفسهم قبل تشويهها، ومن ثم ادعاء خيانة الجمعية [6]. إلاأن كتّاب هذه المقالات كانت لهم ثقة عمياء في انتصار الجمعية على أعدائها.

ويفخرون بأنه بات من يزور الجزائر يرى بسهولة - أينما حلّ - أثرا من آثار الجمعية الملموسة الخالدة، فإذا لم ير شيئا فذلك لأنه لم يبحث عنه أو صُدَّ

---

[1] احمد رضا حوحو، جمعية العلماء في مرحلتها الثانية ج 1، الأسبوع، 17 اوت 1947، ص 03.

[2] المصدر نفسه.

[3] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ص 141.

[4] المرجع السابق، ص 142.

[5] الحفناوي هالي، المصدر السابق.

[6] المصدر نفسه.

عنه صدودا بينما كان قبل سنة 1931 لا يشعر حين يزوره إلاأنه في وطن اسلامي يحتضر[1].

هؤلاء الكتاب ولتأكيد هذه النتائج - رأوا من واجبهم دعوة الشعب الجزائري للالتفاف حول جمعية العلماء، ملاذه في الأزمات إلى أن ينقضي عهد الاستبداد والتعاسة لأنه بالنسبة لهم "عزة الشعب من عزة جمعية العلماء"[2] حامية الهوية الجزائرية والدين الاسلامي.

4. الاسلام وتدخل الإدارة الفرنسيّة في الأمور الدينيّة للجزائريّين

الاسلام في الجزائر دين راسخ احد ركائز الذاتية الجزائرية وذلك منذ ما يفوق 14 قرنا مضت، وهو السلاح الذي رفع في وجه الغزاة حفظا لحرية هذاالبلد.

اعتزاز الجزائريين الكبير بالإسلام جعلهم ينوهون به كمنقذ للبشرية من دياجير الجهل ومن ظلم قويها لضعيفها[3]. "ولم يتوان الاسلام لحظة واحدة عن مؤاساة البشرية المرزوءة والبر بها في جميع ما ينتابها من ويلات الحدثان [...] دون تفرقة بين شيوخها وشبابها، رجالها ونسائها [...] فعاملهم الاسلام كلهم معاملة جميلة وأخذ بأيديهم جميعا إلى حيث النجاة والسلامة ملاحظا في ذلك الرفق بالإنسانية والرحمة بهااذ لا ملاذ لها مما تمرغت فيه من

[1] المصدر نفسه.

[2] العربي الونيسي، "الجزائر في العهد الجديد"، الأسبوع، 19 افريل 1954، ص 05.

[3] أ.ع، المصدر السابق.

حياة البؤس والشقاوة سوى عطف الاسلام..."[1]. وهذا سر الانتشارالواسع والسريع للإسلام في بدأياته فقد كان "... يعتمد في جميع فتوحاته الواسعة على مؤاساة الضعفاء وإدخال الطمأنينة على نفوسهم القانطة من عطف الإنسان على أخيه الإنسان[2] الشيء الذي يجعله "...لأن يكون هو المتبع إلى يوم الدين..."[3].

لذا فمناداة الجزائريين للتمسك بالإسلام مبررة واعتبارهم أن نجاتهم في الاتحاد الديني،[4] للوقوف أمام الاستعمارالذي عاث في الأرض فسادا لأن الاسلام هو القوة الدافعة للمقاومة. فهو "... الذي بقي ثابتا يكافح الخصوم فيغلبهم وينتصر وإن انهزم عداه من المكافحين..."[5].

بادر الاستعمار لتفادى هذه الوضعية في الجزائر إلىإضعافالاسلام من خلال التجريد من أوقاف المساجد والمدارس، الشيء الذي يؤدي إلى تضييق فرص التعليم أمام المسلمين[6] وبالتالي قطع الصلة بين الاسلام والمسلمين تدريجيا. ومن ثم التحكّم في الضمائر بتشجيع الانتهازيين لشغل مناصب الإمامة والصدارة، وتحويل المجالس العلمية والمواعظ الدينية إلى حلقات هرولة ودروشة. واعتقاد في بركة الشيخ بأنه هو الواسطة بين الناس وربهم[7]

---

[1] الأمين عبد العزيز، "المؤاساة في الإسلام" الأسبوع، 02 جانفي 1950، ص 10

[2] المصدر نفسه.

[3] محمد الشائب الذراع، "الإسلام انقلاب تجديدي" الأسبوع، 21 جوان 1954، ص7.

[4] ابراهيم بن محمد خرفي،"نجاتنا في الاتحاد الديني،" الأسبوع، 10 ديسمبر 1951، ص12.

[5] محمد المنصوري الغاسري، "الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر"، الأسبوع، 14 مارس 1949، ص3.

[6] المصدر نفسه.

[7] م.د. المصدر السابق.

بل ويرى آخرون أن هذا غير كاف في نظر الاستعمار فلابد أن يكون التدمير ذاتيا ومن داخل الجسم المراد تحطيمه، وكانت وسيلته في ذلك النخبة التي كونها وفقدت في الغالب-صلتها بالإسلام، مما يبعث الشك في النفوس[1] والضغينة في القلوب والفرقة في الصفوف.

كان لابد من المقاومة فمتى"...دب الفشل في أمة من الأمم وطاشت احلام ابنائها نحو الشهوات والميول النفسية وغضت طرفها عن الأخلاق الفاضلة الاسلامي ة ونبذتهاإلا وأصبحت عرضة للأزمات والنكبات في مختلف فروع الحياة..."[2]. النتيجة الانحلال والاضمحلال والهبوط إلى مرتبة العبودية وذاك ما يريده الاستعمار بتدخله في كل كبيرة وصغيرة تخص الدين الاسلامي وشعائره.

إن مطالبة الجزائريين بفصل الدين الاسلامي وأوقافه عن الدولة الفرنسية له ما يبرره، نظرا للتصرفات الإدارية المخجلة في حق المسلمين وشعورهم الديني.

يحكي عبد الرحمان العقون عن مهزلة رؤية هلال ذي الحجة لعام 1948 حيث الهلال الجزائري " - كماأسماه -لم يظهر لا يوم تسعة ولا يوم عشرة ذي الحجة...فكنت ترى الشعب الجزائري المسكين كأنه مِلل ونِحل مختلفة فمنه المحتفل بيوم العيد ومنه الصائم ليوم عرفة، ومنه المحتفل في بيته، والممسك أمام الجمهور خوفا من أعوان الحكومة الفرنسية التي

---

[1] محمد شائب الدراع، المصدر السابق.

[2] ابراهيم بن محمد خرفي، المصدر السابق.

ساعدتهاالظروف [...] على التداخل [....] حتى في صلاة العيد وذبح الأضاحي، وأنك لترى هذا باللأسف في البلد الوحيد والقرية الوحيدة وترى من صلى صلاة العيد يومين متعاقبين، ومن صلاها في اليوم الأول خفية وفي الثاني علنا بحسب تشدّد وتسامح رجالالإدارة. وقد اشتمل لدى العموم أن يوم الخميس هو يوم العيد الرسمي للحكومة [...] بناء على كمال الهلال الجزائري [...] فحجزت ذبائح المحتفلين بيوم الأربعاء وأوقف المصلون وأغلقت مساجدهم وحررت التقارير بكثير من المحتفلين في كثير من البلدان [...] أما يوم الأربعاء فهو يوم العيد الاسلامي الذي ثبت في كثير من البلدان الاسلامية..."[1]

ولسحب البساط من تحت أقدام السلطات الاستعمارية يجب توحيد الرؤية على مستوى العالم الاسلامي وذلك بتركيز محطات لرصد الأهلة في نقاط معينة ومن هناك تنشر نتائج الرصد على كامل العالم الاسلامي بواسطة إذاعات لاسلكية تؤسس لهذاالغرض.

وإلى حين تنفيذ هذاالاقتراح - والذي لم ينفذ إلى اليوم ومازالت حالة التشرذم قائمة – فإن السيد عبد الرحمان العقون حمل جمعية العلماء المسؤولية كاملة عن افساح المجال للاستعمار للتدخل مرة أخرى في ممارسة الشرائع الاسلامية والتلاعب بها لأنها سكتت عن الأمر. ولم تقل الناس من حيرتهم، فأخلت باختصاص هام من اختصاصاتها[2].

---

[1] عبد الرحمان العقون العالم الإسلامي ومسؤوليته ازاء المواسم الإسلامية، الأسبوع، 14 نوفمبر 1948.

[2] المصدر نفسه.

ولم يقف الأمر عند هذاالحد، حتى الحج نال نصيبه من التدخل [1]: "...فلا يحج الحاج حتى تجس حرارة إيمانه بالولاء، أما المغضوب عليهم من الإدارة فيكفي إذا أرادوا الحج في الماضي أن يتوجهوا شطر دور الحكومة [الولاية العامة] ليتمسحوا بأعتابها ويستنزلون رحمتها ويستدرون رضاها فإذا رضيت وهيهات أن ترضى فقد كان حجهم مبرورا وإلا كان حجهم في الحج مقبوراً [2].

وحتى القضاء الاسلامي الذي لم يبق له الاستعمار إلا الأحوال الشخصية وحتى في هذه الدائرة الضيقة حاول التدخل فيها من خلال قانون 23 نوفمبر 1944 [3] الذي يبيح للمسلمين الخيار ما بين القضاء الاسلامي والقضاء الفرنسي في كل القضايا [4]. ولم يجد أحدهم إلا أن يعلق كيف يعقل هذا في بلد اسلامي [5]، خاصة وأناحكام القاضي المسلم لابد لها من مصادقة قاضي المخالفات الفرنسي [6] فكيف وقد جاء ينازعه آخر ما تبقى له من صلاحيات, اذن لم يبق إلاالثورة لكن ليبدا بتحضير الأرضية لذلك تثقيف المجتمع لرفع درجة وعيه.

---

[1] C.F. Claude COLLOT: les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830-1962), Ed. CNRS - O.P.U., Paris-Alger, 1987.

[2] م.د، النهضة الإصلاحية في الجزائر.

[3] لائحة جمعية القضاء الإسلامية الأسبوع، 18 ماي 1947، ص3

[4] م.د، المرحوم الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

[5] المصدر نفسه.

[6] لائحة جمعية القضاء الإسلامية، المصدر السابق.

5. الثقافة والتعليم

لقد عظم الجزائريون العلم، وسعوا إليه بكل السبل، فقد رأوا فيه المخرج مما هم فيه من ضعف وهوان. إنه "زمن جهاد القلم"[1] وهو الجهاد الذي كان متوفرا لهم في تلك الفترة السابقة للثورة التحريرية، "فلولاه لتعطل الفكر البشري ولما صلح المجتمع الإنساني"[2].

لن يتحقق ذلك إلا إذا قدس العقل، وحرر من قيوده التي تعيق انطلاقته نحو العلم الحديث مما يعني أنه ليس هناك"... أبواب الاجتهاد موصده... أو ناحية من نواحيه قد قالت فيها البشرية السالفة كلمتها الأخيرة، وما على الحاضرين إلا التقيد بالمقدسات المقررة من قبل..."[3]. لذا يجب فتح أبواب الاجتهاد على مصراعيه باحترام العقل، لأن "... الشعوب التي لا تحترم العقل لن يحترمها أحد، وستظل أبدا مباءة تعج بالسفه والحماقة، ونهبا يتربص بها مستعمر ناهب..."[4]، فلا تحرّر إلا بتحرير العقل[5].

لقد فهم الجزائريون هذه الحقيقة بمختلف أوجهالفهم وسعوا إلى إتاحة فرص التعليم لأقصى عدد ممكن من أبناء الشعب، خاصة بعد فشل المهمة

---

[1] العربي الوتيسي، "القلم وآثاره في الحياة"، الأسبوع، 2 نوفمبر 1953، ص2.

[2] المصدر نفسه.

[3] عبد الله شريط، "ثقافة الشعب"، الصباح، 31 اوت 1951، ص 04.

[4] خالد محمد خالد، "مواطنون لا رعايا"، نقلا عن عبد الله شريط، ثقافة (شعب، الصباح، 24 أوت 1951، ص 04.

[5] المرجع نفسه.

التحضيرية - المزعومة - لفرنسا، فحتى قبيل الحرب العالمية الثانية لم يتمدرس من أصل 1250000 طفل جزائري يتراوح سنهم ما بين 06 سنوات و14 سنة، في المدرسة الفرنسية إلا110.000 طفل[1]. وإلى حدود سنة 1954 لم تصل النسبة المتمدرسين إلا إلى14 % بالكاد[2]. وهذه النسبة في حد ذاتها لا تعكس الواقع، فإن كان من الممكن أن يجد 1/ 05 من الأطفال الذكور، و1/ 16 من الإناث مقعدا في المدرسة الفرنسية في المدن، فإن هذه النسبة تنخفض إلى 1/ 150و 1/ 70 من الأطفال في الأرياف[3]. في هذه الحالة المزرية كان على الشعب الجزائري أن يعتمد على جهوده الخاصة في هذه المهمة. وقد وقر في وعيه أن الاستعمار "... يفتح المدارس الفرنسية في وجه الناشئة التي تزين عقولهم الساذجة وتغلق بصائرهم الطيعة، وتشحن أفكارهم بالحقائق المطلمسة، وتعشعش أدمغتهم بالأوهام. هذا بالنسبة للناشئة المحظوظة، أماالأغلبيةالساحقة فلا تصلح للتعليم فلتدع فريسة للجهل ونهبا للتشرد، ومستنقعا للتدهور الأخلاقي ومجالا للأوبئة، وسائمة للذئاب..."[4].

كانت كلّ المناسبات صالحة لاستثارة همة الشعب لتدعيم هذاالمنحى [العمل على توفير التعليم لأكبر عدد من الأطفال]. فحفلات افتتاح

---

[1] Charles- André JULIEN, l'Afrique du Nord en marche : Nationalisme musulmans et souveraineté française, Ed. Julliard, Paris, 1953, p 39.,

[2] Charles Robert AGERON, histoire de l'Algérie contemporaine, éd. P.U.F. col « Que sais-je?», Paris, 7ème édition, 1980, p 83.

[3] Germaine TELLION, op .cit, pp 68-69.

[4] م. د، النهضة الإصلاحية في الجزائر، الأسبوع، 16 ماي 1955، ص 06.

المدارس [1] وكذا الأعياد التي تحيى داخل هذه المدارس [2] وكذا استقبالات البعثات العلمية إلى الخارج قبل سفرها [3]، منابرا لدعوة الشعب للتضحية في سبيل تعليم أبنائه وانتشالهم من حمأة الجهل. وحتى الجهود الفردية في انشاء المدار الحرة كانت دعاية فعالة في هذاالجهو د [4]، بل حتى ذكريات المدارس 'الشهيدة' وصور الأطفال الذين كانوا بين جدرانها يتلقون أوليات القراءة والكتابة. وقد تشردوا بعدما أغلق الاستعمار مدارسهم، استغلت في هذه المعركة، معركة العلم ضد الجهل [5] .

لم تكن هذه المعركة سهلة ولا قصيرة. فبعيدا عن العراقيل المادية لنقص المال اللازم للاستجابة للعدد الهائل من الأطفال الذين في سن التمدّرس. وإذا غضضناالبصر عن نوعية هذا التعليم الذي لا يتجاوز المستوى الابتدائي، فإن أكبر مشكلة هي موقف السلطات الاستعمارية من التعليم العربي جملة وتفصيلا، فرغم ما جاء بدستور 1947 من قرارات ليبرالية كالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، إلا أن الواقع كان غير ذلك. حيث أن الإدارة الفرنسية تصرفت عكس ما جاء في الدستور، فحاربت اللغة العربية كأشد ما تكون المحاربة، وبطرق قانونية – في الغالب الأعم – مستعملة في

---

[1] أبو الأنوار أبو شعيب، 'الميلية تزدهر' الأسبوع، 15 فيفري 1948، ص 03.

[2] الصالح الجموعي 'الاحتفالات بالمولد بقسنطينة'، الأسبوع، 09 جانفي 1950، ص 11.

[3] بلقاسم سعد الله، 'على هامش موضوع البعثة الجزائرية العراقية لجمعية العلماء، الزهرة، 26 أكتوبر 1952.

[4] معمر بوقصة، المدرسة المحمدية بين الأمس واليوم، الأسبوع، 12 مارس 1951.

[5] محمد الصالح بن علي بوزغاية، 'من بوادر النهضة بالجزائر' الأسبوع، 20 افريل 1947، ص 03.

ذلك الرخصة الضرورية لمزاولة مهنة التعليم العربي وفتح المدارس الحرة، سلاحافعالا. ووصلت الإدارة - في حربها مع التعليم العربي - إلى حد غلق مدارس رخصت لها قبلا للعمل [1]، وناهيك عن التي لم ترخص لها"... فتعليم اللّغة في قاموس الاستعمار يستوجب انزال العقاب الصارم، والعذاب الشديد على من تحدثه نفسه بذلك..." [2] لذلك فقد"... شهدت المحاكم [الفرنسية] في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين بعض القتلة واللصوص، ولكن ما جربت يوماأن تنال معلم اللغة العربية ابدا..." [3]، وكانت الأحكام قاسية والمتهمون كثر، فقد جاء في تقرير لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنه توبع 27 معلم اللغة العربية سنة 1951 وحدهاأمام المحاكم بتهمة التدريس دون رخصة [4]. وكانت تضاعف العقوبة في حالة اشتمام أي بادرة بالإخلال بالسيادة الفرنسية على الجزائر، فعاقبت احد معلمي اللغة العربية بـ 04 سنوات سجنا نافذة و25 0000 فرنك غرامة لأنه علّم تلامذته نشيدا تحريضيا [5]. إنه عمل بطولي - في هذه الحالة - أن تكون معلما للغة العربية، تستحق عليه أن ترفع لمستوى عظماء الجزائر الذين كانت الجزائر في حاجة إلى الاحتفاء بهم

---

[1] Claude COLLOT: op. cit, p 325.

[2] م. د. المصدر السابق.

[3] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ص 90.

[4] Claude COLLOT: op. cit, p 325.

[5] Ibidem.

للمحافظة على الوعي بالهوية الجزائرية، من أن تذوب وتندثر. فكان لابدّ من الكتابة عنهم للإشادة بخصالهم.

6. عظماء الجزائر

لكل شعب من شعوب العالم عظماء غير أن الاحتفاء بهم يختلف من مكان إلى آخر. وقد دعا البعض من الجزائريين إلى الاهتمام بعظماء الجزائر لما في ذلك من اثر في "... تكوين الشباب واستقامة اخلاقهم [...][مما] يجعلهم قادرين على تحمل أعباء الحياة الثقيلة..." أما يخص العظماء حقوقهم فيبعث الشباب "... على الزهد في طلب معالي الدرجات، وعزائم الأعمال التي من دابها ان تخلّد ذكر اصحابها في كتاب العظماء..." وحذّروا إخوانهم من أن "... أمما انهار ملكها من علٍ وسقطت إلى الحضيض بسبب استخفافها بقيم رجالها العاملين المجاهدين "وأشاروا بأن إخفاء ما للعظماء من فضل على الأمة يعتبر جناية ضد الصالح العام في الغرب"[1].

لذا حاول الجزائريون – قدر استطاعتهم – إقامة ذكريات العظماء من الشعب الجزائري. وفي الفترة التي ندرسها (1947 - 1955) هناك شخصيات معينة استأثرت بالاهتمام وبأقلام الجزائريين في الصحافة التونسية، وكانت شخصيتاالشيخين عبد الحميد ابن باديس ومحمد مبارك الميلي الأكثر حضورا.

---

[1] الأمين عبد العزيز، قيم الرجال المجهولة، الأسبوع، 12 ديسمبر 1949، ص 05.

وقد عُظّمت شخصية ابن باديس إلى حد أن يقول قائل "... ونكاد لا نفرّق بين عبد الحميد والشعب الجزائري، فإنما يتكلم ويكتب عن شعب بأسره، إذ كان عبد الحميد أمة في شخص"[1]. بل وصل الأمر إلى تشبيه - فيما لاقاه في دعوته الاصلاحية من عراقيل ومصاعب - بما لاقاه أولي العزم من الرسل"[2]. وأشادوا بحكمته، وثباته على الحق في دعوته، وبأنه من "... النخبة الصالحة من العلماء والمسلمين المجاهدين الذين يبعثهم الله للأجيال بين الفترة والأخرى لينتشلوا الإنسانية من حماة الضلالة وبرائثين الغواية وظلام الزيغ..."[3].

إنّ الإمام عبد الحميد ابن باديس كان صدى للحركة الاصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[4]، ويفخر الجزائريون بانه رغم اصطدام الاصلاح في الجزائر "... بمقاومة عنيفة خرجت من نطاق الردود في الصحف ومنابر المساجد إلى الميدان العام حتى كان لا يجتمع جزائريان إلا والخلاف ثالثهما..." فإن الإمام تجنب العنف وإلا كان الأمر إلى غير ماآل اليه ورائده قول الرسول صلى الله عليه وسلم "اللهم اغفر لقومي فأنهم لا يعلمون"[5].

وكان الإمام عظيما حتى في موته، إذ يقول للحافين به أوقفوني فإني لا اريد أن أموت راقدا كما يموت البعير"[6]. وذلك رمز لا يمكن اغفاله لفهم

[1] الحبيب بن ناسي، الإمام عبد الحميد ابن باديس، الأسبوع، 13 افريل 1953، ص 07.
[2] الأمين عبد العزيز، وقفة على شاطئ بحر حياة زاخرة، الأسبوع، 30 جانفي 1950، ص 03.
[3] م.د، النهضة الإصلاحية في الجزائر، الأسبوع، 16 ماي 1955.
[4] الأمين عبد العزيز، وقفة على شاطئ بحر حياة زاخرة، الأسبوع، 30 جانفي 1950.
[5] الحبيب بن ناسي، الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج II، الأسبوع، 20 افريل 1953، ص 02.
[6] الأمين عبد العزيز، المصدر السابق.

شخصية أمام ابن باديس وهي شخصية توازيها - عند الاصلاحيين - شخصية الشيخ محمد مبارك الميلي.

فبالنسبة إليهم أن الحرب العالمية الثانية كانت كارثة على حركتهم الاصلاحية. ففي بدايتها خسروا روح جمعية العلماء، وفي نهايتها خسروا دماغها المفكر[1]. وقد وصفوا مبارك الميلي بأنه كان متضلعا في جميع العلوم والفنون العربية، واسع الاطلاع على علوم التفسير والحديث، كثير الاعتماد على الاستنتاج العقلي، والتحليل المنطقي، له في الكتابة أسلوبا خاصا به. بحاثة في المسائل التي تتصل بالاعتقاد[...]، صريحا في الحق لا تأخذه هوادة في الإصداع بما يمليه عليه وجدانه، شديدا في المقاومة والنضال، لا يُطمعه الترغيب، ولا يُخيفه الترهيب، قوي الإيمان بمبدئه، مجدًا في تبليغ رسالته العلمية والاصلاحية إلى أمته"[2].

ومن ناحية أخرى نُوِّه بمجهوده التأليفي في كتابيه "تاريخ الجزائر" و"رسالة الشرك ومظاهره"، وأعتبر من معالم عبقريته وتفرده[3].

ولخص محمد. ط. حميدات مبدأ الشيخ مبارك الميلي في أنه "أخضع نفسه لطلب العلم، وأخضع العلم للحقيقة، وأخضع الناس للحقيقة"[4].

---

[1] احمد بوعروج، "الذكرى الثانية للشيخ مبارك الميلي"، الأسبوع، 09 مارس 1947، ص 03

[2] علي مرحوم، "ترجمة الشيخ مبارك الميلي بمناسبة ذكراه الثانية"، الأسبوع، 27 أفريل 1947، ص 03.

[3] عبد الحفيظ الجنان، "المرحوم الشيخ مبارك الميلي بعد مرور خمس سنوات على وفاته"، الأسبوع، 03 أفريل 1950، ص 11.

[4] محمد. ط. حميدات، "الذكرى الرابعة للشيخ مبارك الميلي الذي أخضع العلم للحقيقة"، الأسبوع، 20 مارس 1949، ص 06.

وتأتي شخصيات أخرىاقل أهمية لم يكتب عنهاإلا مقال واحد لكل شخصية كابي يعلى الزواوي [1]، والشيخ الحرشي [أوالحرفي] من مروانة [2]، وشكيب أرسلان [3]، واخيرا القائد بورغدة [4].

الملاحظ أن الشخصيات المحتفى بها إنما هي من الشخصيات التي غادرت هذا العالم ومتميّزة بتخصصها الديني إلا الشخصية الأخيرة شذت عن هذه القاعدة، فالقائد بورغدة كان ما يزال في وظيفه في خدمة الإدارة الفرنسية، والمقال هنا يعطينا صورة أخرىغير تلك المعهودة عن القياد الجشعين، القساة، أعوان للاستعمار في ظلم بني جلدتهم فيقدم صورة عن شخصية تحاولقدر استطاعتها التخفيف من آلام وغبن من هم تحت نظره. وهذا شيء استثنائي جعلت حتى كاتب المقال يتساءل عن السر الكامن وراء إبقاء الإدارة الفرنسية عليه في وظيفه. ربما هي محاولة لتلميع صورة غير قابلة للتلميع من كثرة الأوساخ التي علتها التي تراكمت عليها منذ بداية الاحتلال والفظاعات التي رافقته عند محاولة خنق مقاومةالشعب الجزائري نهائيا، أو على الأقلاحباطه نفسيا كمرحلة أولى.

لعل ذلك جزءا من تواري صورة الأمير عبد القادر في هذه الفترة، والتي لم يكتب عنه فيها إلا مقال واحد [5] رغم مكانة الأمير في تاريخ المقاومة،

---

[1] إسماعيل زكري، أبو يعلى الزواوي، الأسبوع، 19 جوان 1953، ص 02.

[2] الأمين عبد عزيز، عالم وذكراه، الأسبوع، 13 جوان 1949، ص 10.

[3] محمد الحسن الورثلاني، ذكرى أمير البيان شكيب ارسلان بنادي الترقي، الزهرة، 21 جانفي 1947، ص 01.

[4] الأمين عبد العزيز، حول بطولة القائد بورغدة، الأسبوع، 05 ديسمبر 1949، ص05.

[5] محمد الطاهر حيدات، الأمير عبد القادر، الأسبوع، 22.15.08 أوت 1949.

وإقامة أركان الدولة الجزائرية الحديثة، ربما النص التالي يوضح لنا السبب: لقد حارب الأمير عبد القادر بالسلاح، وقابل بالسيف فأبلى البلاء الحسن، وكتب في سجل التاريخ صفحة لا تنسى، ولا تمحى، ولكنه بعد أن ذهب كفاحه المادي، وأغمد سيفه الحديدي لم يبق من ذلك كله إلاسطر مكتوب وعبرة محفوظة (تسطير خاص).وماذاأعقب ذلك ؟

إنه لم يعقب إلا صدمة عنيفة ورجة نفسية استولت على المشاعر وأخمدت العزائم واستمر مفعولها يفتك بالأرض والأبدان، واستولى على العواطف والأفكار أجيالا متتابعة وأحقابا طويلة إلى أن ظهرت معجزة الروح والقوة المعنوية [يقصد عبد الحميد ابن باديس [1]]. هذا النص يفسر جزئيا الرأي الذي ذهب اليه محمد الصالح الجابري من أن الفترة المدروسة كانت فترة نضال سياسي، مع هيمنة الحركة الاصلاحية - ممثلة في شخص الإمام ابن باديس - على الساحة. ولم تدعو الحاجة إلى التفاخر بالجانب العسكري من تاريخ الجزائر إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية [2] والتي اندلعت في 01 نوفمبر 1954، فقلبت الأوضاع رأسا على عقب، وأثرت على جميع الجزائريين. وهنا في تونس نرى نوعا جديدا من الكتابة، يمكن لنا أن نسميها الكتابة الثورية - إن جاز لنا التعبير - وندخل معها في طور جديد من تاريخ الجزائر.

---

[1] الأمين عبد العزيز، "وقفة على شاطئ بحر حياة زاخرة".

[2] محمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس : 1900 - 1962، ج 1، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص 100.

الباب الثاني

كتابات الثورة بين 1956 و1962

الفصل الأول: بداية الثورة الجزائرية

1. أسباب قيام الثورة

الثورات بحاجة إلى دعاة يعرّفون بها ويسمعون صوتها إلى العالم، ولعبة الإعلام، لعبة خطيرة من يكسبها يكسب نصف المعركة ويجلب تعاطف الرأي العام العالمي لقضيته. فكان على الجزائريين كسب هذه المعركة رغم عدم تكافؤ القوى في هذا الميدان. وتحمّل الطلبة الجزائريون في تونس ثقل مهمة كسب الرأي العام التونسي لجانب الثورة الجزائرية الناشئة.

وأول مهمة في هذا المجال هو توضيح أن الأمر في الجزائر يتعلق بثورة حقيقية تحريرية وليس مجرد "فلاقة" أو "قطاع الطرق" كما يصور ذلك الإعلام الفرنسي ممثلا في وكالة الأنباء الفرنسية لتتأثر به جريدة وطنية تونسية بحجم "العمل" "l'action" والناطقة بالفرنسية وتنعت "أحرار الجزائر" الوطنيين الثائرين بالعصاة "Rebelles". وهذا تزوير فاضح للحقائق لأنه في هذه الحالة "... يجوز لنا أن نسمي [حتى] الزعماء بورقيبة وبن يوسف ومحي الدين القليبي مجرمين [لمجرد أنهم] ثاروا على الظلم والبؤس والفقر. ولم يرضوا بالحالة المؤلمة التي يحياها الشعب [التونسي]..."[1].

[1] العربي الونيسي، "مجرمون أم وطنيون"، الأسبوع، 04 جويلية 1955، ص 06.

فتح هذا الأمر الأعين على وجوب شرح أسبابالثورة للأخوة في تونس، حتى لا يتأثروا بالدعاية الفرنسية، فيكونوا خلصا للثورة الجزائرية.

إن الدافع الأساسي للثورة هو الظلم وهو "... السبب الرئيس في ثورة الأمم على الاستعمار، وإذا اشتد الاضطهاد على أمة فبشّر باستقلالها"[1]. ذلك ما كان يتنبأ به الإمام عبد الحميد ابن باديس على صفحات مجلة الشهاب[2]. والشعب الجزائري كان يضج - كما رأينا سابقا - من الظلم الاستعماري الذي يجعل رجلا معتدلا مثلا فرحات عباس يقول سنة 1953: "لا يوجد حل آخر غير الرشاشات"[3].

لقد أشارت كل الكتابات إلى أهمية عامل الظلم في انشاب الثورة التحريرية. فالاستعمار قد "... داس كرامتنا، ولوث شرفناالمجيد بعد أن افتك منا أرضنا الخصبة وأرزاقنا الكثيرة المتعددة ظلما وعدوانا وأخرجنا من بيوتنا تجبرا وعتيا، وجعلنا عبيدا مهانا [كذا] في الوقت الذي انتهى دور العبيد [...] أصبحنا في بلاد أجدادنا أذلاء بعدما كنا أعزاء، ألم يفتك منا مساجدنا العتيقة ويقلبها[...] كنائسا وبيعا، وحتى بيوتا للفسق والفساد [...] مثل بأحرارنا الأبطال وزعمائنا الأبرار، وملأ منهم السجون والمحتشدات لا لشيء فعلوه، ولا لجريمة ارتكبوها سوى أنهم يريدون لنا الحياة السعيدة، حياة الشرف والكرامة..."[4] ومن ذلك تيقن الجميع أن « ... لا حياة لهم ترجى إلا

---

[1] اعشتروت، "قوة الشعب أقوى من أن تقهر"، الصباح، 02 ديسمبر 1956، ص 04.

[2] المصدر نفسه.

[3] Charles - Robert AGERON, Histoire de l'Algérie contemporaine 1871 - 1954, T2, p 617.

[4] محمد الشريف المقراوي، "لماذا ثارت الجزائر ؟"، الصباح، 15 ديسمبر 1956، ص 03.

من هذا السبيل، سبيل رفع السلاح، والصعود إلى الجبل حيث الأمن والحرية التي اشتد عطشهم اليها[...] وحيث يجدون الراحة التي ما بعدها راحة، راحة الضمير وراحة النفس اطمئنانا"[1].

وكان الظلم موجها ضد جنس باكمله "الشخص يسحق لكونه جزائريا دون اعتبار آخر"[2] لفائدة اقلية أوروبية متسلطة. "فالشرطي الذي يجلد أو يعذب أوروبي، صاحب العمل أوالقيّم أوروبي، الضابط أوروبي، الأستاذ أوروبي، الاحتقار أوروبي، والفاقة عربية..."[3]. أي أن المغنم للأوروبي والمغرم على الجزائري ... "في جزائر فرنسية غنية وقوية، حيث الاحتكارات والأقلية المالية هي التي تصنع القانون..."[4] فكان لابدّ من الانفجار خاصة حين المقارنة بين المستوى المعيشي الذي تعيشه الجالية الأوروبية ونظيره الذي يعيشه الجزائريون أناس في أعلى القمة وأناساآخرون في القاع[5]. هذه الجالية لن تسلّم في امتيازاتها وتفعل أي شيء للمحافظة عليها حتى ولو خرّبت الجزائر وفرنسا على السواء[6] فهي كالسرطان لا تعيش إلاالوضعيات الشاذة، راحتها من شقاء الشعب الجزائري[7]. فلا حل هذا الأمر إلاالثورة وحمل السلاح ضدها.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] J .F. LYOTARD, la guerre des algériens : écrits 1956 - 1963, Ed. Galilée, Paris, 1989, p 45.

[3] Ibid. p 46.

[4] Ferhat ABBAS, autopsie d'une guerre, p 63.

[5] محمد الشريف المقراوي، لم أنت ثائر ياسعيد، الصباح، 30 ديسمبر 1956، ص 03.

[6] العابد بوبقيرة، حرب جائرة من أجل كمشة نذلة، الزهرة، 12 جويلية 1956، ص 02.

[7] احمد محجوبة الجزائري، الثائر المجهول، الصباح، 17 نوفمبر 1956، ص 03.

الأطفال على فرنسا.

إنه وضع متعفن يثير سخط وغضب حتى المدرسة الفرنسية[1] - إن ويدفعهم إلى الثورة التي يفهمونها، بالتمرد على ذلك سابقا -، وربما اتهموا كانوا من المحظوظين ودخلوها كما أشرنا إلى الأجداد بأنهم لم يقاوموا الاحتلال في بدايته، وبأنهم "...استكانوا إلى الراحة وتركوا البلاد تئن أنينا تحت هذا الطاغي الذي لا يعرف لا رحمة ولا شفقة؟..."[2]، رغم ما فيه من تجريح للأجداد إلا أن هذا الكلام دليل على مبلغ الوعي الذي بلغه الشعب الجزائري خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد اكتسح هذا الوعي العالم[3] متعززا باستقلال كل من الهند، الباكستان، اندونيسيا، سوريا ولبنان، أخيرا لم يعد الاستعمار قضاءً وقدرا ويحق للشعب الجزائري أن يطالب بوجوده "... كأمة قائمة الذات والمميزات لها جميع حقوق الأمم وعليها واجباتهاضمن الأسرةالأممية الكبرى العاملة لخير الإنسانية والسلام العالمي..."[4]، إلا أن ذلك يعتمد أولا وقبل كل شيء على لغة السلاح، خاصة وأن الجزائر ثلاث عملات فرنسية وجزء لا يتجزأ من فرنسا بل الجزائر هي فرنسا في نظر كل فرنسي. لكن دون الجزائريين المسلمين. فكانت الجزائر في حاجة إلى التحرك خاصة وقد تحرك جيرانها في الشرق والغرب، خصوصا تونس نظرا لسبقها في الثورة فزاد سخط الشعب

---

[1] [illegible]، بالفكرة... لا بالفكرة، الصباح، 05 جويلية 1956، ص 03.
[2] محمد الشريف الغزاوي، كم أنت ثائر يا سعيد ؟
[3] [illegible] زكريا - محمد الحاج الناصر، فلنتحدث حديث رجل مع رجل، ولنتفاهم بشكل أوضح، الصباح، 12 جانفي 1956، ص 03
[4] [illegible] بعد إدراج قضية الجزائر في الأمم المتحدة، الزهرة، 04 أكتوبر 1955، ص 01.

الجزائري وتململه [1] وهو يشاهد ويسمع عن نجاحات الثورة وأهمها تسجيل القضية التونسية في جدول اعمال الأممالمتحدة. الشيء الذي جعل اندلاع ثورة الجزائر مجرد قضية وقت، وجاء الوقت المناسب في الفاتح نوفمبر من العام 1954 لتعم الثورة كامل المغرب العربي إلى أن يقع مااعتبره البعض من طعنة أخوة في الظهر وذلك بتوقيف القتال وإبرام اتفاقيات الحكم الذاتي التونسية الفرنسية.

2. الموقف الجزائري من الاستقلال الدّاخلي لتونس

كان تصريح قرطاج ليوم 31 جويلية 1954 - والذي اعترف فيه رئيس الحكومة الفرنسية "منداس فرانس" بالاستقلال الداخلي لتونس [2] - نقطة البداية في طريق أدى إلى استقلال تونس الناجز في 20 مارس 1956، بعد تجربة قصيرة من الحكم الذاتي ابتداء من 03 جوان 1955، الشيء الذي أدّى إلى توقّف المقاومة المسلحة التونسية نهائيا بتسليم أسلحة المقاومين في شهر ديسمبر 1954 أي في الوقت الذي انطلقت فيه الثورة الجزائرية في شهر نوفمبر 1954.هذا الأمرلم يرض الجزائريين خاصة وأنهم في بداية الطريق وفي حاجة ماسة إلى المساندة، مما جعلهم يرفعون عقيرتهم لاستنكار استسلام المقاومةالتونسية، معتبرين ذلك "عار على تونس" ونقطة سوداء تسجل في تاريخ تونس الحافل بالبطولة الحق والمواقف الرهيبة والكفاح المرير والجهاد

---

[1] الحبيب بن تامي، "الثورة الجزائرية وكيف نشأت ؟"، الأسبوع، 23 جانفي 1956، ص 03.

[2] Voir le texte intégral in Mohamed SAYAH, le Néo-Destour face à la troisième épreuve 1952 - 1956 -. la victoire, col « Histoire du mouvement national tunisien. Documents XIV », Ed. Dar El Amal, Tunis, 1979, pp 325-331.

المقدس..."[1]. أما تجربة التفاوض، فتجربة خاطئة[2]، تنكرها الأمة الجزائرية وتصفها بكل سوء[3]، نتج عنها استقلال خال من كل معاني الاستقلال[4].

لقد تحمّل الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي وزر هذه التجربة فوجهت له الاتهامات اقلها أنه ارتكب جناية على الحركة الثورية بالجزائر عندما ارغم الثوار التونسيين على الاستسلام[5]. والملاحظ أن هذه ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها الديوان السياسي. للانتقاد من طرف الجزائريين بل ذلك يعود إلى أيام مشاركته في حكومة شنيق التفاوضية خصوصا عند موافقته على إصلاحات 08 فيفري 1951 فكأنه "... ضرب القضية المغربية [المغاربية] عامة من خلف وفي وقت عصيب..."[6]. إن أنصار الدّيوان السياسي في نظر البعض من الجزائريين – أناس انتفاعيون وأصحاب مصالح شخصية لا يهمهم من الأمر كله إلا ملء جيوبهم وتوسيع هناشرهم[7] أي أناس دون مبادئ يدافعون عنها، ووصل الأمر إلى حد مهاجمة الحبيب بورقيبة - باعتباره رئيس الحزب ومهندس المفاوضات والاتفاقيات مع فرنسا - بواسطة منشورات اذيعت في الجزائر العاصمة[8].

---

[1] العربي الونيسي، "عار عليك يا تونس"، الأسبوع، 26 ديسمبر 1955، ص 10.

[2] فضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ص 51.

[3] توفيق المدني (تصريح للعلم المغربية)، الزهرة، 02 ديسمبر 1955، ص 02.

[4] ع. م، "لقد جاء صالح والقى عصاه"، الأسبوع، 21 نوفمبر 1955، ص 02.

[5] الحبيب بن ناسي، المصدر السابق.

[6] عبد الرحمان بالعقون، "الإصلاحات المهينة"، الأسبوع، 12 فيفري 1951، ص 04.

[7] ع. م.، المصدر السابق.

[8] محمد لبجاوي، حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971، ص 124.

لهذا السبب اتخذ الجزائريون جانب الصالح بن يوسف في معركته ضد بورقيبة [1]، خاصة وأنه كان ينادي بسقوط اتفاقيات الاستقلال الداخلي، وبوجوب مواصلة الكفاح المسلح إلى غاية الاستقلال التام للبلدان الثلاث – تونس، الجزائر والمغرب- عن فرنسا دفعة واحدة. وقد جرّ عليهم هذا الموقف مضايقات وملاحقات من طرف الشرطة التونسية عقب انتصار جناح بورقيبة [2].

لعلّ هذا الموقف الذي اتخذه الجزائريون كان بتأثير من تلك المنشورات - السابقة الذكر – وكذا البلاغات التي كان يصدرها الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني لتأييد الصالح بن يوسف ضد الحبيب بورقيبة [3].

لقد خمدت الانتقادات بعد تحقّق الاستقلال التام لتونس، وتحكّم الحبيب بورقيبة في الأوضاع وإن ظهرت البعض منها فبطريقة لينة وخافتة [4]. ويحق لنا أن نتساءل لماذا كلّ هذا لهجوم على الحكم الذاتي التونسي ؟

رأى الجزائريون في نهاية المقاومة المسلحة في كلّ من تونس والمغرب، عزلة عسكرية للجزائر [5] بغلق مسارب التموين بالسلاح خاصة إذا اتفقت

---

[1] ع. م.، المصدر السابق.

[2] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

[3] مثلا الصباح، 14 اكتوبر، 03 نوفمبر 1955.

[4] يحيى بو عزيز، الصباح في معارك التحرير : وصوت الجزائر الحرة، الصباح، 27 اكتوبر 1956، ص 03.

[5] Une lettre de BEN BELLA à KRIM, BENTOBBAL et BOUSSOUF daté du 26 avril 1958 in Mohamed HARBI, les archives de la révolution algérienne, Ed. jeune Afrique, Paris, 1981, p 187.

فرنسا مع اسبانيا التي تحتل شمال المغرب. وهذا يعني اختناق الثورة الجزائرية وموتها وهي في المهد، خاصة وأن كلّ الأجهزة الأمنية والعسكرية بقيت في يد فرنسا ولمدة عشرين سنة مع مراقبة الحدود والمجال الجوي [1]. إذن اتفاقيات الحكم الذاتي لم تفعل شيئاإلاانها حررت قوات إضافية، تحولها فرنسا إلى الجزائر لقمع الثورة، وتتيح لها الفرصة لتستجمع قوتها للضربة الأخيرة، مع توفير ميزة إضافية وهي تقليل المصاريف العسكرية التي كانت تثقل كاهل الميزانية الفرنسية [2]، وهذا كله يؤدي إلى"أن ... تزيد قدم الاستعمار رسوخا في الجزائر فيكتب له بذلك الخلود، وتعيش الجزائر المسكينة محتلة احتلالا أبديا سرمديا..." [3] وذلك هو الخوف الأكبر.

أما بورقيبة فكان يؤمن دوما بأولوية وعلوية الاستراتيجية السياسية على العمل العسكري [4] وبأنه يستحيل تكوين قيادة عامة تسيّر من القاهرة الثورات في البلدان الثلاث التي هي في مراحل مختلفة من التطور والنضج ولأن الحركة الوطنية التونسية هي الأنضج والأشد تطورا والأكثر تنظيما [5] وهي التي بدأت النضال الأولى فمن حقها أن تعقد اتفاقا الأولى مع فرنسا لاسترجاع جزء من الاستقلال كمرحلة أولى والاستقلال الناجز كمرحلة

[1] Charles-André JULIEN, Et la Tunisie devint indépendante (1951-1957, Ed. Jeune Afrique, Paris, 1985, p 194.
[2] Fathi AL DIB, Abdel Nasser et la révolution algérienne, Ed. l'Harmattan, Paris, 1985, pp 123-124..
[3] حمادي بغريش، نهاية تخشاها فرنسا...، الصباح، 07 أوت 1956، ص 02.
[4] Jean ROUS, Bourguiba : L'homme d'action de l'Afrique, Ed. John Didier, Paris 1969, p 167.
[5] Ibidem, pp 166 - 167.

ثانية في أقصر مدة لا تتجاوز الستة أشهر، نظرا للظرفية المغربية الملائمة – بحسب افادة محمد لبجاوي –[1].

هذا الجدل العقيم أدى إلى اتفاق ضمني بين الطرفين. فقد فهم الجزائريون أنه "... ليس ثمة حكومة مغربية أو تونسية تقبل بأن ترى بلادها في حالة حرب فيما هي تنال الاستقلال ولو مقرونا ببعض التحفظات"[2]. هذا الوعي دفعهم إلى كسب ود القادة التونسيين والمغاربة، وتحويل هذين البلدين المجاورين إلى قاعدتين اساسيتين لنشاط الثورة السياسي والدبلوماسي والعسكري[3]، من جهة ثانية فإن زخم الثورة وموقف الصالح بن يوسف دفع الحبيب بورقيبة إلى التصلب في سياسته نحو فرنسا[4] وبالتالي تحقيق الاستقلال التام لتونس والتي قدمت ما عليها وزيادة على درب استقلال الجزائر، أقلها وجود جالية جزائرية تعيش في هذه الأرض منذ عقود، لا بدّ من التكفل بها والتعامل معها في هذه الظروف العصيبة، والتي قدرت المعروف – من جانبها – وتفهمت الوضع الجديد، وتحملت مسؤولياتها.

3. الجالية الجزائرية بتونس بعيد اندلاع الثورة

تواجد الجزائريين في تونس كجالية منذ فجر الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانوا دائما يجدون المأوى والمأمن بعد الهجرة الاختيارية. فلا

---

[1] محمد لبجاوي، المرجع السابق، ص 115.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] Samya EL MACHAT, les États-Unis et la Tunisie : de l'ambiguïté à l'entente : 1945-1959, éd. L'harmattan, col. « Histoire et perspectives méditerranéennes », Paris, 1996, p 83.

نخال أن تكون الجالية الجزائرية بتونس - وإن عزتنا الإحصائيات - كثيرة العدد. ويبدو - أيضا - أنهم توزعوا على مختلف فروع النشاط الاقتصادي التونسي فإذا أخذنا تركيبة اللجنة المديرة لودادية الجزائريين بالقطر التونسي لعام 1955 كمثال [1] لوجدنا منهم المحامي، الطبيب، الصيدلي، الموظف، الفلاح، التاجر، المقاول، الصنائعي وحتى صاحب فندق، مما يعني أنه كان لهم حضورهم إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر.

لقد تحمّل جزائريو تونس مسؤولياتهم بتأييد طموح شعبهم للتحرر والانعتاق، وذلك بالتنديد بما يتعرض له من قمع وقهر وتدمير، لدى السلطات الاستعمارية في باريس [2]. ولما لم يشفع هذاالاحتجاج، تأكد لهم أن لا حلّ أمام الجزائر إلااستعمال القوة لاسترجاع حقوقهاالمهضومة منذ ما يزيد عن القرن وربع القرن فاندفعوا في تأييد جيش وجبهة التحرير الوطنيين "... بلا قيد ولا شرط حتى النصر النهائي" [3]. لا شكّ أن الاستقلال التام لتونس والذي أيده جزائريو تونس [4] ثم تأييد تولي الرئيس الجليل الأستاذ الحبيب بورقيبة رئاسة أولحكومة تونسية مستقلة [5]، قد ولّد في نفوسهم تأكيد الذاتية الجزائرية.

---

[1] الزهرة، 14 أفريل 1955، ص 02.

[2] "برقية من الجزائريين بتونس إلى رئيس الحكومة الفرنسية"، الزهرة، 04 أوت 1955، ص 01.

[3] "برقية من الجزائريين المقيمين بتونس إلى القسم الجزائري بمكتب المغرب العربي بالقاهرة"، الصباح 21 جويلية 1956، ص 02.

[4] أحمد بالويس، "برقية تهنئة إلى رئيس الحكومة التونسية"، الصباح، 23 مارس 1956، ص 04.

[5] محمد بالطيب، "مقابلة مع الحبيب بورقيبة"، الصباح، 05 ماي 1956، ص 02.

كان الجزائريون يعتبرون "فرنسيين مسلمين" حسب القانون الفرنسي وتواصل الأمر في تونس حتى بعد استقلالها. واندلاع الثورة التحريرية التي أعادت النظر في كلّ الأسسالتي قام عليها الوجود الفرنسي بالجزائر. فكان لابدّ من أن يتحرك جزائريو تونس لإعادة الأمور إلى نصابها بأن أكدوا بأنهم ليسوا "فرنسيين مسلمين" لأنه لقب كريه"[1] بالنسبة لهم. وتوجهوا إلى الشعب التونسي طالبين منه اعتبارهم جالية عربية مسلمة لا فرنسية" لأن "... الشعب الجزائري الثائر لم يثر ثورته الجامحة هذه إلا دفاعا عن كرامته وعزته وعروبته واسلامه ومحق هذه الأسطورة الخرافية التي يتشرف بها الفرنسيون والانسلاخ من هذه الجنسية التي الحقت بنا قرنا وربعا ونحن منها براء يشهد بذلك إسلامنا وعروبتنا وما قاساه الشعب الجزائري من اهانة وذل وعذاب [...] فإن كان الشعب الجزائري كبيره وصغيره، شيوخه وشبانه، نساؤه ورجاله يذهبون ضحية العدوان في سبيل هذاالأمرالجلل ثم نأتي هنا ونرضى بهذه الجنسية الممقوتة ونرضى أن نبقى نعامل كالفرنسيين فما نحن إلا خونة مارقون حقت علينا غضبة الشعب، ويل للمرء من غضبة الشعب الجريح المكافح [...]انا عرب مسلمون فعاملنا معاملة العرب المسلمين [...] نريد [أيها الشعب التونسي] أن تعتبرنا جزائريين مسلمين عرب، نحن من الجزائر وإلى الجزائر العربية ننتسب في سبيل الجزائر نحيا ونموت"[2].

وكان الجزائريون على حق حين مطالبة السلطات التونسية اسقاط اعتبارهم فرنسيي الجنسية. فها هي فرنسا تحاولنقل المساجين السياسيين

---

[1] "نداء من جزائريي تونس"، الزهرة، 20 ماي 1956، ص 02.

[2] المصدر نفسه.

من السجون التونسية إلى السجون الجزائريين - بعد استقلال تونس - من السجون التونسية إلى السجون الجزائريين[1]. لذا الفرنسية بعد حملات الانتقالات التي تعرضوا لها منذ اندلاع الثورة[1]. لذا فقد رفع هؤلاء المساجين اصوات الاستغاثة بالسلطات التونسية "... لكي تقف دون رغبة السلط الفرنسية..."[2] لأن الأمريشير فيهم "... تخوفات التشفي والانتقام..."[3] والأمر الذي يثير الاستغراب وجود مساجين لدولة أخرى في أرض دولة مستقلة، ويبدو أن الحكومة التونسية تفادت الإشكال برفضها السلاح بنقل المساجين خارج تونس، مما ساهم في إنقاذ رؤوس كانت ستطيح بها الهمجية الفرنسية.

هذاالعمل والموقف الشجاع من الحكومة التونسية قابله موقف لا يقل شهامة وشجاعة، إلا وهو الموقف المتضامن للشعب التونسي مع اخيه الشعب الجزائري في محنته.

الشيء الذي جعل الجزائريين ينوهون به على صفحات الجرائد وهم يرون الشعب التونسي يساعد إخوانه اللاجئين الجزائريين في محنتهم[4]، وحتى المساجين كان لهم نصيب من هذه المساعدة[5]، حتى ليشعرون أنهم "...

---

[1] الزهرة، 09 أوت 1955، ص 01، أيضا الصباح، نفس التاريخ.

[2] المساجين الجزائريين يطلبون من الحكومة التونسية التدخل في قضيتهم، الصباح، 05 اوت 1956، ص 01.

[3] المصدر نفسه.

[4] محمد الأخضر السائحي، الإعانة الخالدة، الصباح، 27 جويلية 1956، ص 02.

[5] محمد الشنيري، الرزقي بسطة، سجينان جزائريان يوجهان تشكراتهما إلى إخوانهم المساجين التونسيين، الصباح، 17 أوت 1955، ص 02.

حقا في وطنهم الثاني بين إخوان كرام يقاسمونهم آلامهم..."[1] إن أحسن تعبير يصور التعاونالخالد بين تونس والجزائر هو ان التونسي في الجزائر جزائري، والجزائري في تونس تونسي..."[2]

وإن هذا الوعي - الذي أظهرته الجالية الجزائرية بتونس - بالانتماء لوطن اسمه الجزائر، ومن خلاله التضامن مع باقي طبقات الشعب الجزائري من أجل التحرر والاستقلال من الهيمنة الاستعمارية، قد كاد ينفطر عقده داخل الجزائر ليتحول الصراع إلى قلب المجتمع الجزائري عن طريق افتعال الثغرات والصراعات داخله، خصوصاأن يكون الصراع بسبب اضطهاد اغلبية لأقلية، الأمر الذي يفجّر وحدة المجتمع من الداخل وتفشل جهوده لتحقيق أهدافه التي ثار من أجلها.

4. قضية الاعتداء على تجار بني ميزاب

أثارت قضية الاعتداء على محلات تجار بني ميزاب، والدعوة إلى مقاطعتهم اقتصاديا سنة 1955 - من خلال مناشير ظهرت في العاصمة الجزائرية - معارك على صفحات الجرائد التونسية.

يراهاالبعض مشكلة وطنيين وغير وطنيين لأن "... بني ميزاب مثل غيرهم من الجزائريين الآخرين في كل شيء دون استثناء، بحيث يوجد من بينهم الوطنيون المتحمسون لقضية بلادهم الوطنية، كما يوجد من بينهم

---

[1] بيان من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح، 09 اوت 1956، ص 02.

[2] محمد الأخضر السائحي، المصدر السابق.

أيضا من يشذ عن سير الأمة في اندفاعها التحريري النبيل..."[1] أما آخرون فيرون أنها مشكلة طائفة بأكملها، وغير موجهة إلى أفراد طوال خمسة أشهر كاملة (العملية بدأت في ماي 1955) وبالنظر لأول مقاطعة للميزابيين سنة 1936 والمسؤولين عن هذه المقاطعة[2] فتكرّر مقاطعة التجار الميزابيين[3] أعطى هذا الانطباع بأنه اضطهاد لأقلية، وذهب آخرون إلى اتهام المصاليين [MNA] بتدبير هذه العمليات بحجة أن الميزابيين لم يتضامنوا مع إخوانهم الجزائريين[4] بينما وضع غيرهم إصبعهم على الاستعمار والشركات الأجنبية وهم أكبر المستفيدين من هذه الفتنة وبرأوا الثوار من هذا الفعل الدنيء مشيرين إلى مناشير جبهة التحرير المتبرئة من هذه الاعتداءات[5] ومبرئين الميزابيين من أي فعل يخل بشرفهم الوطني أو بانتمائهم العربي الاسلامي[6].

تعرّض العلماء - خاصة أعضاء المكتب التنفيذي لجمعية العلماء - لموجة من الانتقاد القاسي لتقاعسهم عن مواجهة هذه الفتنة التي تهدد وحدة الأمة الجزائرية ووُجّه اليهم التساؤل "... ألا تشعرون بأنكم المسؤولون

---

[1] جزائري، "حقيقة مشكلة بني ميزاب"، الصباح، 29 أكتوبر 1955، ص 01.

[2] مفدي زكريا، الحاج الناصر محمد، "حقيقة مشكلة بني ميزاب"، الأسبوع، 21 نوفمبر 1955، ص 02.

[3] نور الدين بن محمود، قابلت الزعيم أحمد مصالي الحاج، الأسبوع، 18 جويلية 1948، ص 03.

[4] Mohamed HARBI, Le F.L.N., Mirage et réalité : Des origines à la prise du pouvoir (1945-1962), Ed. Jeune Afrique « col. le sens de l'histoire », Paris, 1980, p 146.

[5] ابن عمر، "حول مشكلة بني ميزاب" إلى الجزائري المطلع"، الأسبوع، 09 ديسمبر 1955، ص 03.

أنظر أيضا. د. العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد بالجزائر، 1991، ص 142.

[6] خير الدين ابن العياسي، "تصحيح لأنباء القطر الجزائري"، الصباح، 24 ديسمبر 1955، ص 01.

الأول[كذا] عن جهاز الأمة يراد [له]أن يتهاوى، وعن وحدة الأمة يراد لها أن تتفتت إلى جماعات، وعن مبدأ اجرامي أثيم، مبدأ توزيع الأمة إلى أقليات يراد له أن يشتدّ ويستقيم على سوقه ليجبه مصير الأمة وهي تسعى إليه ويسعى إليها عن طريق من المهج والجثث..." وذكر أصحاب الانتقاد أن فضيلة الشيخ الأجل الابراهيمي حينما علم بالقضية كتب من القاهرة إلى المكتب التنفيذي وإلى جريدة البصائر منددا بهذا الأمر الشنيع، لكن كتابته لم ترى النور على صفحات البصائر. وهذا أمر يثير الريبة في أعضاء المكتب التنفيذي.

تعلّل بعض العلماء بالخوف من الاغتيال، وتوصلهم بتهديدات في هذاالأمرلكن "... أيهما إذن اكثر تناسقا وتجاوبا مع تعاليم الاسلام ومثل العروبة. العمل على صيانة الوحدة – أم السكوت عن المحنة العابثة بها، وهل يمكن أن يجتمع الخوف من الأشباح الموهومة، وقوة الإيمان التي يقتضيها الاسلام في قلب رجال الدين ؟"[1]

فإن خاف وجبن رجل الدين فلا يمكن لنا أن نلوم رجل الشارع العادي أن وقع في نفس المحظور، خاصة أمام حجم القمع الشديد الذي سلطه الجيش الفرنسي على الشعب الجزائري الذي وإن قبل استقلال المستعمرات الفرنسية على مضض فإنه استبعد أي فكرة لاستقلال الجزائر [2] فكان الإرهاب محاولة منه لوقف عجلة التاريخ.

---

[1]مفدي زكيا، محمد الحاج الناصر، كتاب مفتوح إلى أعضاء المكتب التنفيذي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الصباح، 24 اكتوبر 1955، ص 01.

[2]Raoul SALAN, Mémoires fin d'un empire : Algérie française 1er novembre 1954 - 06 juin 1958, Presse de la cité, Paris, 1972, p 19.

الفصل الثاني : تطوّر الثورة

1. القمع الاستعماري

رافق تنامي الثورة الجزائرية ردّات فعل استعمارية، القصد منها القضاء التام على هذه الثورة لإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه قبل 01 نوفمبر 1954، وكانت كل الوسائل مشروعة - في نظر الدوائر الفرنسية - لتحقيق هذاالهدف، وعلى رأسهاالقمع.

رسمت لنا كتابات الجزائريين صورة فظيعة ومرعبة للممارسات الفرنسية في حق الشعب الجزائري الأعزل بالدرجة الأولى. بعد كل فشل أمام جيش التحرير الوطني "فيستأسد، الجند [الفرنسي] ويظهرون رجولتهم مع الأهاليالأبرياء..."[1] لا يخلو أي مقال ولو من إشارةإلى ذلك، لأن في هذه الممارسات "... وحشية لا تضاهيها وحشية المغول والتتار ولا أي وحشية أخرى من تاريخ الإنسانية..."[2].

كانت هذه لكتابات صرخة في الضمير العالمي والتونسي خصوصا، أن سارعوا إلى إنقاذ الشعب الجزائري من أيدي جلاديه التي لا ترحم، أن ساعدوه على التخلص من قيوده.

---

[1] حمادي بغريش، "من وحي بيان جمعية العلماء الجزائريين"، الصباح، 13 ماي 1956، ص 02.

[2] حمادي، "نهاية لاكوست"، الصباح، 01 نوفمبر 1956، ص 03.

الثابت أن كتّاب هذه المقالات - في الغالب الأعم - لم يكونوا شهود عيان على ما وقع لكن يكتبون اعتمادا على روايات اللاجئين، والقادمين من أرض المعركة من المجاهدين، خاصة وأن تونس قد تحولت إلى قاعدة خلفية للثورة، عقب استقلالها : فتحول هؤلاء إلى مصدر أساسي للاطلاع على ما يجري في الجزائر من مخازي [1].

بدأ القمع بمجرد اندلاع الثورة، ففي 19 ماي 1955، أمر الحاكم العام للجزائر، جاك سوستيل Jacques Soustelle "بالإعدام الفوري للمتمردين الذين يؤسرون السلاح في أيديهم" [2]، وأمر أيضا بتطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية على السكان "المتآمرين" معهم وقد طبق هذان الأمران عند تمشيط جبال الشمال القسنطيني [3].

لم يعد الجيش ومصالح الأمنالفرنسيان - إذن - يفرقان بين الثوار المدنيين فالكل مشبوه والكل متّهم، والكل يستحق العقاب لمجرد أنه جزائري، إلا أنه هناك بعض الاختلاف بين القمع في الأرياف والجبال من جهة والقمع في المدن من جهة ثانية. وإن كان الجوهر واحد.

في الأرياف، شهدت الجزائر ما يعرف بالمناطق المحرمة التي يمنع الإقامة بها ويباح فيها لجيش الفرنسي اطلاق النار على أي شيء يتحرك دون سابق

---

[1] أنظر فما يأتي من مقالات يحيى بوعزيز فيها إشارات إلى بعض مصادر معلوماته، لكن دون الأسماء.

[2] Yves COURRIERE, Les temps des léopards, Ed. Fayard, Paris, 1963, pp 113.

[3] Guy PERVILLE, « Le tourisme dans la guerre d'Algérie (1954-1962) » in Charles-Robert AGERON (prés.), L'Algérie des français, Ed. Seuil, Paris, 1993, p.209.

إنذار، مما جبر سكانها على الجلاء عنها واللّجوء إلى المغارات والكهوف[1] قبل أن يساق من بقي منهم إلى مراكز الاحتشاد ذات الاسم الجميل في المصطلح الفرنسي" مراكز إيواء" والتي كانت جهنم في الأرض بالنسبة للجزائريين[2] ابتداء من صيف 1957[3] في محاولة لفصل الثورة عن وسطها الطبيعي - الشعب.

تضاعف القمع مع مقدم الوزير المقيم بالجزائر" روبير لاكوست Robert Lacoste بسياسته المعروفة بالتهدئة، المعتمدة على الإرهاب والأرض المحروقة في محاولة أخيرة، لإيقاف عجلة التاريخ عن الدوران - خاصة وأن سلفه جاك سوستيل Jacques Soustelle اعترف بفشل مناوراته السياسية لإفشال الثورة بأيدي الجزائريين "ولم يبق إلا الحرب ويجب خوضها"[4] فأضحى معها تفجير الناس أواحراقهم أحياء، أو دق المسامير في أجسادهم، أو بقر الحوامل واغتصاب النساء والتمثيل بهنّ، أو قتل الأطفال والشيوخ أو تسليط الكلاب المدربة على الفتك بالمدنيين أو إيقافهم ثم اغتيالهم[5] من الأساليب الدارجة والروتينية في تطبيق هذه

---

[1] يحيى بو عزيز، "ساحات الوغى تحدثني"، الصباح، 11 أوت، 1956، ص 03.

[2] Voir Hafid KERAMANE, La pacification : Livre noir de six années de guerre en Algérie, Ed. La cité Editeur, Lausanne, 1960.

[3] Henri ALLEG (s. dir.), La guerre d'Algérie, T2, Ed. Temps actuel, Paris, 1981, p 137.

[4] Charles-Robert AGERON « l'insurrection du 20 août 1955 en Algérie de la résistance ... à la guerre du peuple « in actes du VIIe colloque international sur la résistance armée en Tunisie aux XIXe et XXe siècles, tenu les 18, 19 et 20 novembre 1993, Publications de l'institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National, Tunis, 1995, p 222.

[5] مراسل خاص "حول الضجة الكبرى ضد فظائع الفرنسيين بالجزائر"، الصباح، 11 ماي 1957، ص 03

السياسة. أما سرقة ارزاق الناس أو تدميرها فذاك امر متجاوز لكثرة تكرره، وهو اخف الأضرار الناتجة عن تمشيط القرى والمداشر[1]، أما إذا كان التمشيط بعد عملية لجيش التحرير، فإن التجمع السكاني الذي وقعت قربه العملية، يدفع الثمن غاليا استنادا إلى مبدأ المسؤولية الجماعية - كما ذكرنا سابقا - فقد محيت قرى بكاملها من الخريطة بالقصف الجوي والمدفعي[2] بسبب ذلك، ولما لم تنفع هذه الفظاعات في اطفاء نار الثورة، عمدت السلطات الاستعمارية إلى خرق القوانين الدولية التي تحرم استعمال الغازات السامة في الحروب والنزاعات المسلحة والتي أوقعت - عند استعمالها - الكثير من الضحايا في صفوف الثوار والمدنيين - على السواء[3].

أما في المدن فكان الحصار الاقتصادي[4] فعالا ومتكررا لمعاقبة الأحياءالتي تكون مسرحا لنشاط فدائيي جيش التحرير، بإعدام النشاط التجاري بها على أمل كسب تعاونالمتضررين من الحصار مع السلطة الاستعمارية، باعتبار فدائيي جيش التحرير هم المتسببون في الحصار وقطع أرزاق الناس.

ومن ناحية أخرىعمدت نفس هذه السلطات إلى إباحة الأحياء العربية للأقلية الأوروبية لتعيث فيها فسادا وقتلا بعد سقوط أي ضحية في صفوفها،

---

[1] حمادي، "نهاية لاكوست"، الصباح، 01 نوفمبر 1956، ص 03.
[2] يحيى بوعزيز، "مأساة بني معمر تمثل حرب الإبادة..."، الصباح، 15 سبتمبر 1956، ص 03.
[3] يحيى، "تحقيق خطير حول استعمال الغاز المختنق"، الصباح، 08 ديسمبر 1956، ص 03.
[4] مراسل خاص، "فظائع الفرنسيين بالجزائر مستمرة"، الصباح، 18 ماي 1957، ص 03.

وكانت النخبة - في الغالب - هي المستهدفة من عمليات الانتقام[1]. ولم تكتف السلطات الاستعمارية بغض الطرف عن إرهاب الأقلية الأوروبية بل وشاركتها - بطريقة مستترة - سواء بالتسليح أوالتحريض[2]. ولأن التركيز الإعلامي كبير في المدن، وبالتالي يصعب إخفاء جرائم القتل العلنية كما في الأرياف، فإن السلطات ابتكرت أسلوبا لتصفية المشتبه بهم، دون أن تثير عليها الرأي العام العالمي بأن تعمد إلى اعتقال المشتبه بهم، ثم إعدامهم والادعاء بأنهم حاولوا الفرار أثناء نقلهم من مكان إلى آخر، أو أنهم حاولوا افتكاك سلاح الحرس أوأنهم ببساطة انتحروا[3] بعدما يكونوا قد مروا على عملية تعذيب وحشية، قصد الحصول على أي معلومات حول المقاومة، سيرا على هدي شعار الجنرال ماسو le général Massu 'بقدر ما نعذب، بقدر ما نحصل على معلومات'[4]. لقد تحول التعذيب إلى روتين يومي فيما يسمى بمراكز الفرز[5] والقليل ممن خرج من هذه المراكز دون تشويه في جسده كذكرى منها ويكون سعيد الحظ إذا خرج منها حيا.

اتهم الجزائريون فرنسا بالنازية[6] في سعيهاالحثيث لتركيع الشعب الجزائري باتباع الأسلوب الهتلري في القمع، ذاك الأسلوب الذي كانت تندد به يوم كانت محتلة من طرف ألمانيا أما في الجزائر فتطبقه بصفة دقيقة بل بزت

---

[1] عبد الرحمان شيبان، 'فقيد الأدب والفن الأستاذ أحمد رضا حوحو'، الصباح، 29 مارس 1957، ص 03.
[2] مراسل خاص، 'في وضح النهار والشمس مشرقة' ج 2، الصباح، 01 جوان 1957، ص 03.
[3] بيان من جمعية العلماء، الصباح، 16 أفريل 1957، ص 01.
[4] Henri ALLEG (s. dir.), La guerre d'Algérie, t2, p 315.
[5] Henri ALLEG, La question, Ed. Minuit, Paris, 1958, p 70.
[6] محمد الشريف المقراوي، 'من فظائع الاستعمار الفرنسي - بني عيدل الشهيدة'، الصباح، 26 جويلية 1956.

الألمان في حسن التطبيق وزادت عليه من ابتكاراتها الإعدام بالمقصلة [1] "هدية الثورة الفرنسية إلى العالم".

رغم كل الوسائل القمعية التي استعملتها فرنسا للقضاء على الثورة، إلا أن العكس هو الذي حدث فكلما زاد القمع، زاد الانتساب للثورة [2] خصوصا وأن القمع لم يستثن حتى من خدموها سنينا طويلة [3] مما خلق في النهاية حالة من التلاحم بين الثورة والشعب فاحتضانها وربط مصيره بمصيرها.

2. احتضان الشعب الجزائري للثورة :

كان الشعب الجزائري - مستعدا للثورة - على الأقل من الجانب النفسي - نظرا للوجود الاستعماري، جاثما على صدره. فالظلم المسلط عليه كان له اثره في نضوج وعيه القومي [4] وبوجوب التخلص من هذاالعبء الذي يئن تحته، والحل هو الاستقلال والتحرر، لأن المظلومين كلما ضغط عليهم "... ازدادت الحرية في نفوسهم قداسة..." [5] ولذلك "حينما يتمرد الفكر ويقول لا للهيمنة، فإن العنف لا يؤدي إلا إلى تنامي التصميم

[1] خليفة محفوظي، "من جنون السياسة"، الصباح، 25 اوت 1956، ص 03.

[2] Lanzo DEL VASTO, Pacification en Algérie ou mensonge et violence, Ed. L'Harmattan, Paris, 1987, p 22.

[3] مراسل خاص، "فظائع الفرنسيين بالجزائر مستمرة"، الصباح، 18 ماي 1957، ص 03.

[4] عثمان شبوب، "أثر الظلم في خلق الوعي القومي"، الصباح، 04 أوت 1956، ص 03.

[5] فضيل، م.، "فظائع الاستعمار في حرب الجزائر"، الصباح، 08 سبتمبر 1956، ص 03.

على الرفض"[1]. في هذه الحالة والشعب مهيا للانفجار، يكون بحاجة فقط إلى الخطوة الأولى، ثم يتكفل بالأمور بنفسه بمجرد ما تتوضح أمامه الطريق، لأنه "يستحيل ايقاف حركة شعبية بالقوة"[2]. بدأ احتضان الشعب الجزائري للثورة - فعليا - عام 1956[3] لأنه "... من الخطأ الاعتقاد بأن الشعب رغم كل التعاطف الذي أظهره منذ البداية سيرتمي دفعة واحدة وبكل تلقائية في أحضان جبهة التحرير فكان لابدّ من المناورة، والمرافعة، والتهديد وإظهار له شيئين بسيطين: الأول أن جيش التحرير كان قويا، ومصمما وفي إمكانه الوقوف الند للند أمام الجيش الفرنسي، ثانيا، أن الفلاحين لن يعرفوا مع فرنسا إلا ما عرفوه قبلا، الفقر والظلم. دون جيش التحرير لن يكون هناك أي تغيير، فقط وعود تخلف"[4]. وبهذه الطريقة تم كسب الشعب إلى صف الثورة في وقت غدت فيه الجزائر "... أكبر محتشد عرفه تاريخ الحرب والاضطهاد وأوسع مسرح لمآسي غريبة فجيعة يمثلها الاستعمار بمختلف أجهزته الإجرامية ووسائله الجهنمية، وبكل ماأوتي من حقد ووحشية ويأس وجنون..."[5] وكان من نتائجها أن أكدت "التحام القاعدة الشعبية والتفافها حول جبهة التحرير..."[6].

---

[1]Ali HAMMOUTENE, réflexions sur la guerre d'Algérie, Ed. publisud - S.N.E.D., Paris - Alger, 1982, p 47.
[2]Ibid, p 26.
[3]Henri ALLEG, (s. dir.), La guerre d'Algérie, T2, p 09
[4]Ferhat ABBAS, Autopsie d'une guerre, p 97.
[5]عبد الرحمان شيبان، الجانب الأدبي عند الأمير عبد القادر، الصباح 15 مارس 1957، ص 03.
[6]عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، الطبعة الأولى، 1965، ص 231.

لقد عددت كتابات الجزائريون أشكال هذا الاحتضان الشعبي للثورة الجزائرية، وكان الإضراب، أنصع دليل على التفاف الشعب حول الثورة. وفعلا فإن الشعب الجزائري كان حاضرا في المواعيد الكبرى في تاريخ الثورة، بدءا بالإضراب الذي نادت به جبهة التحرير الوطني يوم 05 جويلية 1956، لما لهذا اليوم من مكانة في قلوب شعب الجزائر لتزامنه مع الذكرى 126 لاحتلال الجزائر [1]، ولما في ذلك من ألم وجرح للكرامة. لذا كانت المشاركة كبيرة، أرّخت لدخول الشعب المرحلة الثورية المسلحة، فإذا كانت المعارك العسكرية تخلق الشروط البسيكولوجية للكفاح فإن الإضرابات تجنّد الطاقات برفع روح التضامن والاتحاد الوطني [2]، هذه الروح ستظهر بصفة واضحة مدة إضراب الثمانية أيام، في الفترة الواقعة بين 28 جانفي و04 فبراير1957، حيث أظهر الشعب مدى وعيه بقضيته، خاصة وان هيئة الأممالمتحدة مقبلة على درس القضية الجزائرية. فامتثال الشعب لنداء جبهة التحرير للإضراب تعزيزا لموقف جبهة التحرير في الأمم المتحدة على درب تحرير البلاد من الاستعمار [3] ورغم الإجراءات الوحشية التي قام بها الجنرال ماسو Massu لتحطيم الإضراب والتي دفع التجار بسببها الثمن الأفدح [4]، فإن الإضراب قد نجح، فلم يعد هناك من يقدح في مدى شرعية وشعبية ثورة شعب الجزائر.

[1] يحي بوعزيز، "هل من مزيد يام. لاكوست"، الصباح، 12 جويلية 1956، ص 03.

[2] Ali HAMMOUTENE, op. cit, p 19.

[3] يحيى بوعزيز، "نقول هذا للتذكير"، الصباح، 1 و2 فبراير 1957، ص 2 و3.

[4] حمادي، "بطولة صامتة"، الصباح، 16 فبراير 1957، ص 03.

وللتأكيد اكثر على تغلغل الثورة في الأوساط الشعبية رأى البعض من هذه الكتابات التدليل على مواقف فردية معبرة كأولئك الشيوخ الذين لم تمنعهم سنهم العالية من المشاركة في الأشغال الهندسية لجيش التحرير الرامية لإعاقة تنقلات جيش الاحتلال [1]، وكتلك العجوز التي أقسمت أنها لن تستقبل ولدها - الذي لم تره منذ سنة كاملة - لو لم يأتها مسلحا وجنديا في جيش التحرير [2]. وهذا يدلّ على أن المرأة الجزائرية لم تتخلف عن اداء الواجب [3].

لقد أصبح الشعب الجزائري كله ثائرا، بعدما اثرت الثورة في سلوكه وتفكيره [4].

هذا يعني أن الشعب الجزائري قام بما قام به عن عقيدة، لأنه لم يرض يوما بالاحتلال الفرنسي، فقد حارب تحت راية الأمير عبد القادر مدة 17 سنة حربا ضروسا [5]، وخسر المعركة لأنه "... كان [...] وحده في الميدان خذله الأقارب، وشمت به الأباعد، وغفل ونام عنه الرأيالعام العالمي..." [6]، غير أنه لم يسلّم السيادة الوطنية ولا مقوماتها للعدو والمحتل [7] وبقيت تعتمل

---

[1] أحمد الجزائري، "خواطر عن الثورة الجزائرية ومكانتها في الشعب" ج 2، الصباح، 29 مارس 1958، ص 03.

[2] يحيى بوعزيز، "جيش التحرير في الميدان"، الصباح، 28 جويلية 1957، ص 03.

[3] محمد الصالح الصديق، بطولة المرأة الجزائرية، الصباح، 08 جوان 1957، ص 03.

[4] أحمد مجحودة الجزائري، "الزحف المقدس"، الصباح، 15 ديسمبر 1956، ص 03.

[5] يحيى بوعزيز، "الأمير عبد القادر..."، الصباح، 09 مارس 1957، ص 03.

[6] رشيد، "متى يتعظ الفرنسيون ؟"، الصباح، 19 جانفي 1957، ص 03.

[7] أحمد بوروح، "الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية"، الصباح، 02 نوفمبر 1958، ص 02.

في وجدانه ومن هنا "... لم تكن ثورتنا تلقائية أو طفرة زمنية تحركها أصابع اجنبية، أو طائفة من أبناء الشعب دفعها اليأس والحرمان إلى أعمال العنف..."[1].

التفاف الشعب الجزائري حول الثورة لا يخفي بأنه كانت هناك طائفة خرجت عن اجماع الشعب، هذه الطائفة "الخائنة" تكفل بأمرها جيش التحرير لإرجاعها لحظيرة الإجماع الوطني أو للقضاء عليها بكل بساطة [2] ليواصل هو (الشعب) التعبير عن رغبته في التحرر وعزمه القوي في الخلاص من السيطرة الأجنبية والاستعباد، فكانت منه [الثورة] له يؤيدها ويغذيها بكل وسائل النمو والحياة والبقاء من رجال ومال ومخابرات في الجبال والقرى والمدن.."[3].

شعب كهذا "... يثور برجاله ونسائه وأطفاله، وخيله ورجله، وذئابه وأنعامه بل وحتى حجارته وترتبه [...] لا يمكن بحال أن يخيب في مطالبه"[4] ولا يمكن أيضا أن يبقى طلبته وهم طبقته المثقفة بمعزل عن المعركة التي يخوضهاالشعب معركة البقاء أوالفناء، وكان للطلبة المقيمين بتونس معركتهم.

3. الطلبة الجزائريون بتونس أثناء الثورة :

---

[1] أحمد بوروح الجزائري، "حول صور من البطولة في الجزائر"، الصباح، 31 أوت 1958، ص 03.

[2] يحي بو عزيز، "أعمال الوحشية في الجزائر، من أجل حماية خائن"، الصباح، 06 أكتوبر 1956، ص 03.

[3] أحمد الجزيري، "خواطر عن الثورة الجزائرية ومكانتها في الشعب" ج 1، الصباح، 22 مارس 1958، ص 03

[4] يحي بوعزيز، "جيش التحرير في الميدان"، الصباح، 28 جويلية 1957، ص 03.

كان الطالب الجزائري بتونس متعطشا للثورة، وقد سنحت له الفرصة أن يقارن بين الأوضاع بالجزائر ونظرتها بتونس، ليخلص أنه لا فائدة من الاستعمار، ولا حل أمام الشعوب إلا الثورة ولذا فلا نظن أن الثورة قد فاجأت الطلبة الجزائريين، خاصة وأن الثورة كانت محتملة - بشكل أو بآخر - في تونس والمغرب المجاورتين للجزائر.

فتفاعل الطلبة مع الثورة منذ انطلاقتها [1]، فانطلقوا بدورهم للقيام بالواجب الملقى على عاتقهم، فشارك الطالب "... إلى جانب متابعته لدروسه في ثورة شعبه الصامد في كفاحه فعرّف بقضية بلاده، وانتقد السياسة الاستعمارية بقلم (فتي) ولكنه سام ولاذع فتاك... كما حطّم فريق آخر من الطلبة اقلامهم واثروا مخاطبة الاستعمار بما يفهمه، والتحدث اليه بلغة صريحة لا تقبل التأويل هي لغة الرشاش والقنابل اليدوية..." [2].

وكان هناك طريق ثالث لإظهار الثورة على الاستعمار، وهو الإضراب اللانهائي عن الدراسة، كما فعل باقي الطلبة الجزائريون المنبثون في فرنسا والجزائر الذين اضربوا منذ 19 ماي 1956 فأضرب الطلبة الجزائريين بتونس استجابة لنداء جمعية الطلبة الجزائريين [3] أظهروا ذلك على صفحات الجرائد [4] إلا أن البعض لم تقنعه هذه الخطوة واعتبرها قاصرة عن أداء المهمة، ولا يرى حلاإلاالالتحاق بالجبال والأخذ بثأر ضحايا

---

[1] مراسلة الدكتور يحيى بو عزيز بتاريخ 24 مارس 1998.

[2] حمادي بغريش، تحية أدبية إلى الطالب الجزائري من شاب تونسي، الصباح، 17 ماي 1957، ص 03.

[3] نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين، الصباح، 29 ماي 1956، ص 02.

[4] الطاهر وطار إنا راحلون، الصباح، 06 اكتوبر 1956، ص 03.

الاستعمارالأبرياء [1] لم يطل انتظار هؤلاء، حيث صدر نداء الطلبة الزيتونيين للعودة إلى الدراسة في سبتمبر 1956 [2] رغم أن الإضراب تواصل في الجزائر وفرنسا إلى غاية أكتوبر 1957 [3] والسبب في ذلك هو حرص جبهة التحرير الوطني على المستقبل الدراسي لإطارات الجزائر المستقبليين بتفادي الانقطاع الطويل عن الدراسة، خاصة وأن كلّ الدّلائل كانت تشير إلى أن نهاية الحرب في الجزائر لن تكون في القريب العاجل [4].

رغم مشاركة وامتثال الطلبة لقرارات جبهة التحرير، إلا أن الملفت للانتباه هو أنهم لم ينضموا إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين

بمجرد تأسيسه سنة 1955. ويبدو أنه كانت هناك خلافات بين الطلبة [5] بين مجموعة تريد الاحتفاظ بجمعية الطلبة الجزائريين كاطار تقليدي ممثل للطلبة [6] وبين مجموعة أخرىتريد انشاء جمعية جديدة ربما لتكون فرعا للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين [7] استمرار الخلاف ادى بالطالب يحيى بوعزيز إلى كتابة مجموعة مقالات بعنوان رسالة الجمعيات [8]، حاول فيها

---

[1] حمادي بغريش، لو كنت ثائراً، الصباح، 08 جوان 1956، ص 04.

[2] نداء من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح، 28 سبتمبر 1956، ص 04.

[3] Guy PERVILLE. « les étudiants algériens en guerre, 1955-1962 « in armée, guerre et politique, en Afrique du nord : XIXe-XXe siècles, Ed. Presse de l'Ecole Normale Supérieure, Paris, 1977, p 69.

[4] Ibid.

[5] نداء من الاتحاد العام، الطلبة المسلمين الجزائريين إلى الطلبة الجزائريين بتونس، الصباح، 22 مارس 1956، ص 03.

[6] يحيى بوعزيز، لم نختلف ابدا...، الصباح، 04 مارس 1956، ص 04.

[7] إبراهيم زعبوب، علام الخلاف ؟، الصباح، 24 فيفري 1956، ص 03.

[8] الصباح، 20 ديسمبر 1956 و1.04.16.27 جانفي و06 فبراير 1957.

تشريح عمل واهداف وأهمية الجمعيات بل وحتى كيفية النضال داخلها، ودعا إلى الوحدة في العمل، إلا أن دعوته ذهبت ادراج الرياح، ولم يتم الخلاف إلا بتدخل جبهة التحرير الوطني وانهائها الوجود الرسمي لجمعية الطلبة الجزائريين بالدعوة إلى انتخاب فرع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 12 ماي 1957 [1] واستيعابهم في هياكل الجبهة، كمجندين أو مكلفين بأعمال الدعاية والتموين وتعليم اللاجئين والإشراف على مرافق حيوية متعددة [2].

التزام الطلبة قضايا وطنهم، جرّ عليهم نقمة الاستعمار. ففي صيف 1956 وأثناءالعودة إلى الجزائر تعرض الطلبة أما للقتل أوالاعتقال من قبل قوات الاحتلال في الحدود التونسية الجزائرية [3]. الأمر الذي حرم الطلبة من رؤية الأهل إلى غاية الاستقلال ، وانقطعت عنهم معونات الأهل، الشيء الذي سبب لهم مشاكل - لا حد لها - لتدبير معيشتهم، فأضحى الطلبة يقيمون أودهم على الخبز والماء [4]، مما حدا بالطلبة الجزائريين الالتجاء إلى وزارة المعارف التونسية لتتكفل بما لا يقل عن 500 طالب جزائري اضحوا

---

[1] الصباح، 11 ماي 1957.

[2] محمد الصالح الجابري، وآخرون، الأدب العربي شمال إفريقيا : مقالات نقدية، وبيليوغرافيا وصفية، دار مهجر كمبريج ماساشوستس 1982، ص 37.

[3] محمد الطاهر خليفي، "معاملة فرنسا الشرسة... للطلبة الجزائريين" الصباح، 23 ديسمبر 1956، ص 03.

[4] يحيى بو عزيز "حول قصيد" معركة الشرق والغرب" : هكذا نبغي الأدب يا شباب الأدب" الصباح، 28 ديسمبر 1956، ص 04.

في حكم الفقراء المعدمين [1]، لتنقذهم من الجوع ومن السكن غير اللائق الذي هو اشبه "بمبولة" منه إلى سكن للبشر [2]. وناشد الطلبة الوزارة التدخل، حتى لا يكفر الطالب الجزائري بالأخوة والجوار وهو يرى نفسه مهملا دون تكفل يحفظ كرامته من التسول. ورغم المساعدة التي قدمها الملك محمد الخامس لهم والمقدرة بمليونين من الفرنكات، حين زيارته إلى تونس في أكتوبر 1956 [3]، فإنه كان لا بدّ من تدخل الرئيس الحبيب بورقيبة للتخفيف من معاناة الطلبة الجزائريين وذلك قبل أن تدمجهم الجبهة في هياكلها - كما ذكرنا سابقا - وتعهد اليهم فيما عهدت - أمر الدعاية للثورة.

---

[1] يحيى بو عزيز، إلى وزارة المعارف التونسية: المشروع الاجتماعي في الميزان، الصباح، 20 أكتوبر 1956، ص 03.

[2] خطاب مفتوح من جمعية الطلبة الجزائريين إلى سعادة وزارة المعارف، الصباح، 07 نوفمبر 1956، ص 02.

[3] جمعية الطلبة الجزائريين وجلالة السلطان أسد المغرب العربي، الصباح، 11 نوفمبر 1956، ص 04.

الفصل الثالث : تتويج الثورة الجزائرية

1. الدعاية للثورة

الدعايةأحد أهمالأعمدة الداعمة لأي عمل، يراد له النجاح والكمال، والثورات في حاجة ماسة للدعاية لترويج أفكارها وأطروحاتها والتي – في الوقت ذاته – على أعدائها ودعايتهم المضادة ومن يكسب معركة الدعاية يضمن حظوظا وافرة لحسم الصراع لصالحه، لأن "... معركة الأفكار لهاأهمية أكبر من حرب الأسلحة..."[1].

لم تكن السلطات الاستعمارية غافلة عن هذاالعامل الهام وكان لها باع طويل من خلال فرق "العمل السيكولوجي" للرد على دعاية جبهة التحرير وبث دعايتهاالخاصة، وكانت الصحافة التونسية – التي تعكس حالة الوجود الجزائري في تونس – في نطاق عملها[2]. هذاالعمل، ضاعف من ثقل المهمة على كاهل من كتبوا في الصحافة التونسية من الجزائريين، لأنهم دائما واقعون تحت الجهر، إلاأنهمأدواالمهمة حسب المستطاع.

---

[1] Benjamin STORA, la gangrène et l'oubli : La mémoire de la guerre d'Algérie, Ed. La découverte, Paris, 1991, p 20.

[2] Annie REY-GOLDZEIGUER, « la frontière algéro-tunisienne pendant la guerre d'Algérie dans les archives militaires de Vincennes « in Actes du VIIe colloque international sur la résistance armée en Tunisie aux XIXe et XXe siècles, tenu les 18, 19 et 20 novembre 1993, publication de l'institut supérieur d'histoire du mouvement national, Tunis, 1995, p 71.

مواضيع كثيرة كانت سجالا في ميدان الدعاية إلا ان الموضوع الرئيس الذي شغل أغلب المقالات، هو التنديد بفرنسا باعتبارها دولة استعمارية آثمة [1]، مطبوعة على النذالة والخسة والتوحش [2]، وهذا ليس سبابا وشتما - على رأي رشيد - "...فإن السباب والشتم هماأرخص أنواع الكفاح، وأهون ضروب الحرب على الأعداء، وإنما نقوله - يضيف رشيد - سردا للحقائق، وتقريرا للوقائع، مبرهنين عليه بالدلائل والشواهد، مؤيدين إياه بأحكام المجتمع الدولي..."[3] وذلك لأن فرنسا تحولت إلى الضعفاء الأبرياء رامية إفناءهم وهم عزل من كل سلاح، وهي تملك كلّ سلاح، لا تكتفي بقتل وتعذيب العباد لتمتد أيضا إلى مقدساتهم الدينية لتحطيمها والعبث بها. وهي تدعي أنها ممثلة لدين المسيح عليه السلام [4]أيالبنت البكر للمسيحية. إنّ فرنسا قد استعملت كل وسيلة، لإخماد هذه الثورة، غير أن الفشل كان من نصيبها [5]، لأن الشعب الجزائري هو الذي أفشل ذلك بالدرجة الأولى، وعى وجوده فسئم معاشرة فرنسا، لذا انبرى يكسر القيود التي تشده لها، كافرا بالوقت الذي كان فيه وقودا لحروبها، يموت ليعيش جلادوه، ويشقى لينعم مستغلّوه [6].

---

[1] رشيد، "متى يتعظ الفرنسيون"، الصباح، 19 جانفي 1957، ص 03.

[2] أحمد بوروح الجزائري، "حول صور من البطولة في الجزائر"، الصباح، 31 اوت 1958، ص 03.

[3] رشيد، للمصدر السابق.

[4] محمد الشريف المقراوي، "الاستعمار في الجزائر يحتضر"، الصباح، 09 سبتمبر 1956، ص 03.

[5] المصدر نفسه.

[6] إبراهيم زعبوب، "الجزائريين الأمس واليوم"، الصباح، 31 اوت 1956، ص 03.

لقد رأى كتّاب تلك الفترة الشعب الجزائري هو الذي سيدفّع فرنسا ثمن كل الجرائم التي ارتكبتها في حق الشعوب التي احتلتها[1]. كيف لا يفعلها وذاك الوعي هو "المضاد الحيوي للهيمنة الأجنبية"[2] يساعده في ذلك الوضعية التي وصلت إليها فرنسا من جراء الهزائم التي "ترددت فيها منذ بداية الحرب العالمية الثانية، حتى أضحت أمة من الدرجة الثانية"[3]. لذا فمن حق الجزائر رفض "... **أن تكون ذيلا لدولة أصبحت ذيلولة**"[4].

لم تعد دولة كهذه تخيف الجزائريين، وتهديداتها لم يعد لها نفس مفعول أيام عزها[5] حسن ما زال بإمكانها البطش والتدمير، إلا أن ذلك يشبه انتفاضة الذبيح قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

إلا أنها ما زالت تكابر - في نظر الجزائريين، وترفض الاعتراف بالنتيجة الحتمية لهذا الصراع، فتريح وتستريح، وسبب ذلك أنها مصابة "بمركب السمو" - على رأي عبد الله ركيبي - تخشى أن يخطف الجزائريون لقب الثورة منها،

---

[1] يحيى بو عزيز، إن الثورة الجزائرية قد وضعت النقط على الحروف يا م. لاكوست، الصباح، 04 أوت 1956، ص 03.

[2] Fernand BRAUDEL cité par Mohamed HARBI « Repenser le nationalisme algérien », Revue d'Histoire Maghrébine, n° 83, 84, juillet 1996, p 571.

[3] Jacques JULLIARD, « naissance et mort » de la IV République : 1947-1958, Ed. Calmann-lévy, Paris, 1968, p 176.

[4] المهدي سعيد، الجزائري، لاكوست في شخص كوتي : خيانة وهستيرية، الصباح، 10 أوت 1957، ص 03.

[5] حمادي بغريش، التهديد المزيف، الصباح، 15 جوان 1956، ص 03.

وهي التي بنت مجدها، وكسبت احترام الإنسانية على أنقاض ما تسميه الثورة الفرنسية لعام 1789[1].

هذا التسامي دفع فرنسا إلى التغاضي عن الحقائق التي تشير كلها أن الثورة من صنع أبناء الشعب الجزائري وليست موجّهة من الخارج ومن مصر خصوصا [2]، الأمر الذي يؤدي إلى تورطها في الاعتداء الثلاثي - أكتوبر - نوفمبر 1956 - على هذه الأخيرة رامية القضاء على الثورة الجزائرية بضرب قواعدهاالخلفية، بل الرأس الموجه [3]، فكانت مؤامرةً تحملت وزرها الحكومة الاشتراكية القائمة وقتذاك في شخص غي مولي ولاكوست.

كان لاكوستْ الشخص الأكثر كراهية في الجزائر [4]، وذلك نظرا لطول مدة حكمه بالجزائر (من 10 فبراير 1956 إلى13 ماي 1958)، وسياسته القمعية المعروفة بالتهدئة la pacificationا، هاته السياسة البشعة أهلته لأن يشبهه الجزائريون بأدولف هتلر [5]إنه - في نظرهم - مجرم حرب يجب أن يحاكم، إن أمام الشعب الفرنسي أوأمام الشعب الجزائري [6] ليجيب عن الجرائم التي ارتكبها في حق هذاالأخير والتي تصاعدت مع الهجمة التي سماها بالربع الساعة الأخير قبل القضاء على المتمردينْ التي أضحت مثار

---

[1] عبد الله ركيبي الجزائري، "مركب السمو... والاستعمار في الجزائر"، الصباح، 12 افريل 1958، ص 03.

[2] حمادي بغريش، "بالعصى... لا بالفكر"، الصباح، 05 جويلية 1956، ص 03.

[3] يحيى بوعزيز، "معركة القتال وثورة الشعب الجزائري"، الصباح، 17 نوفمبر 1956، ص 03.

[4] Jacques CHEVALIER, nous, algériens..., Ed. Calmann-lévy, Paris, 1958, p 145.

[5] مراسل خاص، "روبير لاكوست خليفة هتلر وتلميذه الوفي"، الصباح، 15 جوان 1957، ص 03.

[6] رشيد، "الجزائر في معركة التحرير"، الصباح، 05 جانفي 1957، ص 04.

وكثرة تأكيده سخرية الجزائريين من كثرة تأجيله ساعة الحسم مع المتمردين، على ربع الساعة الأخير، والذي لم يتمه [1]، واعتبروه ربع ساعة الأخير لنهايته وهزيمته أمام الشعب الجزائري رغم بعض الانتصارات التي حققها مثل القرصنة الجوية وأسر زعماء الثورة واحتجاز الباخرة أتوس [2].

لقد عدّ الجزائريون على لاكوست تصريحاته للصحافة وكانت محل رد لتسفيه الآراء التي جاءت فيها [3]، وحتى محاولاته خلق البلبلة في الأوساط الجزائرية - من خلال تزوير منشورات ونشريات جبهة التحرير الوطني - لم تمر دون التشهير بها وفضحها على صفحات الجرائد التونسية [4].

إن لاكوست وتزامنا مع سياسته الأمنية التي عانى منها الشعب الجزائري عناءً فظيعا، حاول إدخال مجموعة من الاصلاحات البلدية والإدارية للسماح لأكبر عدد من المسلمين ولوج الوظيفة العمومية على أمل القضاء على نفوذ جبهة التحرير الوطني وسط الجماهير، ومن ثمة كسبها لجانب فرنسا [5]. وهذا الشيء مستحيل - يجيب الجزائريون - ولن تنطلي هذه الخدعة علينا، خاصة وأن القمع يزداد ضراوة يوما بعد يوم، وأن الشعب قد اختار وجهته النهائية

---

[1] يحيى بو عزيز، "الآن يام، لاكوست..."، الصباح، 12 جانفي 1957، ص 04.

[2] يحيى بوعزيز، "بعد ركوع آيدن وموللي : سجد لاكوست أمام ثورة الجزائر"، الصباح، 05 جانفي 1957، ص 03.

[3] حمادي بعريش، "حول رد لاكوست : لا في الأول، ونعم... في الباقي"، الصباح، 12 جويلية 1957، ص 02.

[4] يحيى بو عزيز، "من اعترافات لاكوست، تحيا الجزائر حرة مستقلة..."، الصباح، 02 مارس 1957، ص 03.

[5] Yves courrière, la guerre d'Algérie : L'heure des colonels, T3, Ed. Fayard, Paris, 1970, p 26.

إلى جانب جبهة التحرير، وماإضراب يوم 05 جويلية 1956 إلا برهان على هذاالاختيار [1].

لقد كان لاكوست أسيرالأطروحات المستعمرين وقياداتهم بالجزائر، ولم يستطع الفكاك منها إلى أن طرد من الجزائر مهانا من طرف من أخلص في خدمة أهدافهم طوال مدة حكمه وتوالي الحكومات.

الملاحظ أن رؤساء الحكومات الفرنسية لم يتعرضوا - مباشرة - للنقد بالقدر الذي تعرض له الوزير المقيم بالجزائر روبير لاكوست. ولعل ذلك راجع - وبخلاف الأسباب التي ذكرناها سابقا - إلى أنه قام بالعمل القذر بدلا منهم. وقد تحمل غي موللي شريك لاكوست في الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري النصيب الأوفر مقارنة بهؤلاء [2]. لقد انتُقِد على محاولته تجاوز جبهة التحرير عند البحث عن حل سلمي للقضية الجزائرية بثلاثيته المعروفة : استسلام الثوار، ثم إجراء انتخابات حرة ونزيهة عبر مجمع انتخابي موحّد وذلك لتعيين محاورين أكفاء من الطائفتين المسلمة والأوروبية للنظر في الاصلاحات الواجب إدخالها في الجزائر [3]. فالقفز على جبهة التحرير معناه إبقاء الأوضاع على حالها أي استمرار المأساة الجزائرية [4].

---

[1] محمد الشريف المقراوي، الجزائر تستوحي سياستها من الخارج، الصباح، 04 سبتمبر 1956، ص 02.
[2] جزائري، بعد عشر سنوات، الزهرة، 27 جويلية 1956، ص 01.
[3] Henri ALLEG (s. dir), la guerre d'Algérie, T2, p 25.
[4] مغدي زكريا - محمد الحاج الناصر، فلنتحدث حديث رجل مع رجل، ولنتفاهم بشكل أوضح، الصباح، 12 فيفري 1956، ص 03.

ازداد النقد لغي موللي بعد إعلانهأنه يتحمل المسؤولية كاملة بعد قرصنة الطائرة المغربية المُقِلة للزعماء الجزائريين واعتقالهم - كما شهدنا سابقا -. هذا الاعتقال أو القرصنة الجوية الأولى في العالم قبرت جهودا كانت تبذل لإيجاد حل سلمي للحرب الدائرة في الجزائر - التي لم تعترف بها فرنسا إلا يوم 05 أكتوبر 1999 - من خلال عقد ندوة للسلم في تونس في أكتوبر 1956 بمشاركة الدولتين المغاربيتين حديثتي الاستقلال [1]، لتخرج هذه الكتابات بنتيجة واحدة وهي أن هؤلاء الزعماء أصبحوا رمزا بل فكرة تلقفها الشعب واحتضنها، ولن تستفيد فرنسا شيئا أن تقبض على أشخاص وتضعهم وراء القضبان، بل العكس هو الذي يقع وتأخذ الثورة الجزائرية زخما جديدا لمواصلة كفاحها، كماأن كتّاب المقالات وجدوا مبررات جديدة للرد على كتّاب فرنسيين -كتبوا ضدّ الثورة أو على الأقل شككوا فيها - وذلك بتفنيد ما جاء في الكتابات الفرنسية - مما يعتبرونه - مغالطات مفضوحة [2] أو بالعكس من ذلك تماما التنويه ببعض من هذه الكتابات وتقديمها كدليل على صدق ما يكتبه الجزائريون حول فظاعات السلطات الاستعمارية المرتكبة في الشعب الجزائري وليس أحسن من وشهد شاهد من

---

[1] محمد فضيل، يومان من تاريخ الجزائر المكافحة، الصباح، 23 ديسمبر 1956، ص 03.
- عبد الحميد، النصر لنا يا فرنسا، الصباح، 23 ديسمبر 1956، ص 03.
- عيسى مسعودي، صرخة... من جمعية الطلبة الجزائريين، الصباح، 25 أكتوبر 1956، ص 03.

[2] عبد العزيز ابن داده، من المجرم الإرهابي ؟، الصباح، 14 ماي 1958، ص 03.
- محمد الأخضر السائحي، تعاليق على مقالات : الجزائر كما رأيتها، الصباح، 23 سبتمبر 1956، ص 03.

أهلها [1]. الملاحظ في هذه المتابعات للكتابات الفرنسية أنها تتم من خلال الصحف التونسية وخاصة جريدة الصباح التي كان يقوم فيها - الدكتور عبد الله شريط بترجمة ملخصات لمقالات تهتم بالثورة الجزائرية في الصحافة العالمية [2]، أو من خلال صفحة الأحد الثقافية التي كان يشرف عليها محمد ابراهيم الميلي ويقدم في بعض حلقاتها ملخصات لكتب أجنبية تتحدث عن ثورة الجزائر [3].

على عكس ما كانت تفعله السلطات الاستعمارية من مناكير، فإن الثورة ممثلة في رجال "جيش التحرير الوطني" كانوا - في نظر الجزائريين - في قمة الإنسانية واحترام قوانين الحرب، من استثناء المدنيين الأوروبيين من عملياتهم، لأنهم يمتثلون لوصايا الرسول عليه السلام - الدعاية لعدم التعرّض للمدنيين والزهاد وحتى الشجر أثناء الحروب [4]. كانت معاملة الأسرى معاملة حسنة أما المثقفين منهم فكانت معاملتهم خاصة جدا، على عكس ما كان يفعله الجيش الفرنسي، حيث أن "... الثقافة في الجزائريين[...] بمفردها جريمة توجب أشد الضروب وافظع النكال وتبرر الإعدام والاغتيال. إن المثقف الجزائري عرضة لإعدامه بمجرد أن يسقط في يد الفرنسيين..." [5].

---

[1] يحيى بو عزيز، "في عام الثورة، أرقام البؤس الجزائر حتف الاستعمار..."، الصباح، 09 نوفمبر 1957، ص 03.

[2] مراسلة الدكتور يحيى بو عزيز مؤرخة بتاريخ 24 مارس 1998.

[3] محادثة مع الدكتور محمد الميلي بتاريخ 25 نوفمبر 1997.

[4] محمد الطاهر خليفي، "رجال الثورة وتمسكهم بالمبادئ الانسانية"، الصباح، 25 أوت 1956، ص 03.

[5] مراسل خاص، "أسيران مثقفان من الجيش الفرنسي (يمن) عليهما جيش التحرير ويطلق سراحهما إكراما لثقافتهما"، الصباح، 20 أفريل 1957، ص 03.

والسبب في ذلك السلوك راجع إلىأن الشرف والكرامة والإنسانية [الأخلاق الوازع الديني طبعا]تأبى على جيش التحرير المقابلة بالمثل للجريمة بالجريمة والفظائع بأهول منها مع أنهم لو فعلوا ذلك لما كانوا ملامين لأن الشر بالشر والبادي أظلم.

ولكننا - يقول صاحب المقال - نحارب حرب الشرفاء من أجل قضية شريفة، لن تلطخ تاريخ كفاحنا، وقدسية ثورتنا بمثل هذه المنكرات..."[1]. إذن هذا السلوك الملتزم بقوانين الحرية يفنّد الدعاية الفرنسية التي تصور جنود جيش التحرير على أنهم عصابات من قطّاع الطرق لا هم لم لهم إلاالسلب والنهب[2].

إنّ هذا الالتزام، يتحول إلى ضرب بيد من حديد حينما يتعلق الأمر بالمتعاونين مع السلطات الاستعمارية من الجزائريين. وتلقى هذه الشدة صدى في الصحافة التونسية لأنه من المفروض على الثورة "... أن تكتسح هذه الطائفة الخبيثة من الأمةالتي وقفت حجر عثرة في طريق الجيش التحريري..."[3]. حتى لو كان ثمن ذلك تهديم عروش بأكملها وتسويتها بالأرض[4]. رغم ان هذه الأعمال ضد هذه الفئة استمرت طوال سنوات الثورة إلاان عملية من حجم اغتيال علي شكّال وهو بجانب رئيس الجمهورية الفرنسية روني كوتي René COTY من طرف الفدائي محمد

---

[1] المصدر نفسه.

[2] محمد الشريف المقراوي، المجاهدون الجزائريون ديمقراطيون، الصباح، 20 أكتوبر 1956، ص 03.

[3] يحيى بو عزيز، أعمال الوحشية في الجزائر : من أجل حماية خائن، الصباح، 06 أكتوبر 1956، ص 03

[4] المصدر نفسه.

صدوق هي التي تأخذالصدى الأكبرإن في كتابات الجزائريين أو في الصحافة العالمية [1].

أصداء كهذه تزيد من تسليط الأضواء على ثورة الجزائر وبالتالي الاهتمام بهاالشيء الذي يساعد على إطلاق الدعوات لشباب الجزائر للالتحاق بالثورة [2] مع استعمال طرق الإغراء لتحقيق هذاالهدف [3]. وأكثر هذه الطرق اغراءات التمجيد الذي يرافق استشهاد المنتمين للثورة [4]. كماأن رمزي الجزائر الخالدين الأمير عبد القادر والشيخ ابن باديس رُمي بهما في هذه المعركة معركة استنهاض الهمم للثورة باعتبار أن الأولهو الذي قاد المقاومةالمسلحة عند بدايةالاحتلال وهو في سن الشباب وهو المثل في الإقدام والتضحية. إنه المعلم الخالد للوقوف أمام الاستعمارالفرنسي، الشيء الذي يجعل عبد الرحمان شيبان يعتذر عن الكتابة عن الجانب الأدبي للأمير في الظرّوف التي تعيشها الجزائر [5].أماالثاني فصوّر على أنه لو كان بينهم مااختار إلاالسلاح لمخاطبة الاستعمار، وما رضي إلا بصحبة الثوار [6].

---

[1] حادي بغريش، بعد مصرع شكال : الاستعمار الفرنسي بلا رأس ولا ذنب، الصباح، 02 جوان 1957، ص 03.

[2] محمد ريب، همسات من صميم الثورة الجزائرية، الصباح، 04 ماي 1957، ص 03.

[3] محمد الطاهر خليفي، سياحة حول الجبل، الصباح، 01 نوفمبر 1956، ص 03.

[4] محمد الطاهر خليفي الشهيد، الصباح، 15 ديسمبر 1956، ص 03.

- أبو عبد الله، تحية إلى شهيد، الصباح، 28 جويلية 1957، ص 03.

- م.أ. م. آيت حسن لمزيان البطل الجزائري الشاب يلفظ أنفاسه وهو يكافح في سبيل حرية الجزائر، الصباح، 25 أفريل 1953،

[5] عبد الرحمان شيبان، الجانب الأدبي عند الأمير عبد القادر، الصباح، 15 مارس 1957، ص 03.

[6] حادي بغريش، أبو الشعب الجزائري الثائر، الصباح، 20 أفريل 1958، ص 03.

هؤلاء الثوار الذين اظهروا براعة وشجاعة نادرتين كانتا مثار واعجاب في المقابل صور جنود الجيش الفرنسي في منتهى الجبن وخور العزيمة كلما كان في مواجهة جنود جيش التحرير الوطني [1] حتى في المعارك والمواجهات التي يكون فيهاالاختلالالعددي يفوق واحد من ثمانين [2] والتي تنتهي في العادة بخسائر فادحة في الجانب الاستعماري [3]

لعل هذه الخسائر جعلت الدعايةالاستعمارية تركز على أية دلائل يمكن أن تؤدي إلى تفريق صفوف جبهة وجيش التحرير الوطنيين، فعمدت إلى اطلاق الإشاعات حول وجود انقسام جيش التحرير الوطني إلى مجموعتين، مجموعة عربية، وأخرى قبائلية. إلا أن الرد كان سريعا وحاسما مفاده لا وجود للانقسامات بين فئات المجتمع الجزائري وخاصة بين أفراده المجاهدين [4] إلا أن ما أثر في الجزائريين وأثار استياءهم أن الإشاعات ترددت عبر صفحات الجرائد المصرية خاصة جريدة الجمهورية الرسمية الأمر الذي نبه الجزائريين إلى وجوب وضع العرب في صورة الجزائر المجاهدة وكسبهم لقضيتها العادلة، وبعدها غزو العالم لحشد التأييد، والمساندة على درب تحقيق الغاية التي من أجلها قامت الثورة.

---

[1] مراسل خاص، إعدام النشاط التجاري ببعض انهج مدينة (قسنطينة)، الصباح، 08 جوان 1957، ص 03.

[2] محمد الصالح الصديق، من صور البطولة في الجزائر، الصباح، 13 أفريل 1957، ص 02.

[3] يحيى بو عزيز، ساحات الوغى تحدثني، الصباح، 02 سبتمبر 1956، ص 02.

[4] محمد الشريف القراوي، جيش التحرير الجزائري والقبائل، الصباح، 06 أكتوبر 1956، ص 03.

2. الدعوات لتأييد الثورة الجزائرية

رغم التضحية والتجنّد وراء الثورة التي أظهرتهاالغالبية الساحقة من الشعب الجزائري المؤمنة بحقها في التحرر عن طريق الثورة، فإن هذا كان غير كاف لوحده، نظرا لاختلال موازين القوى المادية بين الطرفين المتحاربين. لذا كانت المساندة والمساعدة الخارجية ضرورية لاستمرار الثورة أولا ولتحقيق الهدف ثانيا.

لقد تحول الجزائريون بأنظارهم شطر إخوانهمالأقربين - ونعني بهم شعبي تونس والمغرب - لأن - في المقام الأول- الأمريهمهما مباشرة وأكثر من غيرهم، فاستقلال تونس والمغرب سيبقى ناقصا ومهددا من قبل فرنسا ما دامت الجزائر لم تستقل بعد [1] فالجزائر بمثابة القلب من الطائر الذي جناحاه المغرب وتونس، ويوم سددت فرنسا سهمهاللقلب سقط الطائر، وعجز الجناحان عن فعل أي شيء وسقطا في الأسر دون مقاومة [2]. وفي هذه الحالة العبرة في الاحتفاظ بالحرية وليس فياسترجاعها [3]. إذن مساعدة الجزائر هي ضمان الاحتفاظ بهذه الحرية التي دفع البلدان في سبيلها ثمنا باهظا بعد أن يفهما أن الاستعمار لا يفقه إلا لغة الحديد والنار [4].إن الاعتداءات التي شهدها البلدان، والمرتبطة بالحرب الدائرة في الجزائر من قبل اختطاف زعماء الثورة وهم متجهون لندوة للسلم، أو جريمة ساقية سيدي يوسف، أو

---

[1] عبد الرحمان شيبان : "عيد تونس عيدنا"، الصباح، 20 مارس 1957، ص 02.

[2] المصدر نفسه.

[3] الطاهر وطار، "هات يدك يا أخي التونسي"، الصباح، 12 أوت 1956، ص 03.

[4] يحي بو عزيز، "قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم..."، الصباح، 10 أوت 1957، ص 03.

أحداث رمادة، كانت براهين على هشاشة استقلال البلدين وعلى خطورة التواجد العسكري الفرنسي في الدولتين والحل هو مساعدة الشعب الجزائري الذي يتكفل بإخراج هؤلاء القوم المعتدون من كامل المغرب العربي [1].

حينما رفع الجزائريون أصواتهم لطلب المساعدة من الأشقاء وحثهم عليها [2] حتى يكون المغرب العربي أهلا للحرية التي حصل عليها جزء ويكافح من أجلها جزء آخر حدثت الاستجابة لندائهم. الكل يحاول أن يقدم ما يقدر عليه، سواء أكانوا من ذوي المسؤوليات [3] أو من بسطاء الناس بل وحتى المتسولون المعدمون شاركوا في ذلك [4]، مما كان له الأثرالفعّال في ازدياد لحمة الأخوة بين اجزاء المغرب العربي، لتصل قمتها بعد مؤتمر طنجة سنة 1958، مع ما ظنوه ميلادا للوحدة المغربية [أوالمغاربية] كمرحلة أولى نحو الوحدة العربية [5].

سعى الجزائريون بعد ما كسبواالشعب المغاربي لقضيتهم، إلى تحقيق نفس الشيء مع الدول العربية لأنه بقدر ما تتسع دائرة التأييد المادي والمعنوي - للثورة، زادت فرص النجاح أمامها لتحقيق ما تصبو اليه.

---

[1] حمادي بغريش، تونس منا وإلينا، الصباح، 30 ماي 1958، ص 02.

[2] الطاهر وطار، المصدر السابق.

[3] يحيى بو عزيز، الصباح في معارك التحرير :صوت الجزائر الحرة، الصباح، 27 اكتوبر 1956، ص 03.

[4] بورح الجزائري، أسبوع الجزائر بليبيا الشقيقة، الصباح، 12 افريل 1958، ص 03.

[5] حمادي بغريش، أنتصار آخر لشعبنا المغربي المكافح، الصباح، 09 ماي 1958، ص 04.

لقد تقدموا لمصر بالشكر لأياديها البيضاء لفائدة انجاح الثورة الجزائرية[1]. ولأن عاصمتها "القاهرة" أصبحت عاصمة العرب كافة، محور القومية العربية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر وقبر الاستعماريين[2]. فالمساعدة المصرية أساسية في دنيا العرب، خصوصا بعد العدوان الثلاثي الذي نُظر إليه على أنه انتصار لمصر والعرب نظرا لقوة الجيش المصري[3]، الذي أضحى الأمل في طريق التحرر العربي[4].

رأى الجزائريون أن الدعم المقدم لهم من قبل إخوانهم العرب غير كاف، خاصة حينما يكون هذا الدعم معنويا فقط، فليست "... الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية ولا حتى مقاطعة الحكومات الغربية بكافية لرد القمع، فالاستعمار جدير بأكثر من هذا وهو يستحق زيادة عن المظاهرات والاحتجاجات، شيئا آخر أجدى وأقوى، لإيقاف ناره عناء جعل حدا للمأساة الجزائرية"[5]. انه لا يجدي الكلام ولا النواح أيها العرب - يصرخ الجزائريون - إنما ثورة على ثورة... فهلموا... لتنتصر الجزائر أو نموت فداءً لعروبتنا"[6]، حتى لا يقع للجزائر نفس الشيء الذي وقع لفلسطين، فقد تشرد

---

[1] يحيى بو عزيز، "مرحبا بعميد الأدب الدكتور طه حسين..."، الصباح، 18 جويلية 1957، ص 03.

[2] يحيى بو عزيز، "تحية القاهرة"، الصباح، 24 ماي 1957، ص 03.

[3] يحيى بو عزيز، "بعد ركوع إيلدن موللي : سجد لاكوست أمام ثورة الجزائر..."، الصباح، 05 جانفي 1957، ص 03.

[4] يحيى بو عزيز، "قاهرة العرب" منبع عز العرب"، الصباح، 17 مارس 1957، ص 02.

[5] حادي بعريش، "من وحي بيان جمعية العلماء الجزائريين"، الصباح، 13 ماي 1956، ص 04.

[6] الطاهر وطار، " لا يجدي الكلام ! وإنما التطوع في جيش الجزائر"، الصباح، 02 سبتمبر 1956، ص 03.

مليون فلسطيني، بعدما ضاعت فلسطين، رغم الكثرة العددية للعرب[1]، والسبب في ذلك تآمر حكام العرب على بعضهم البعض أيهم يضم فلسطين إلى أراضيه، وفي الجملة تقاعسوا في توفير وسائل الأمن والدفاع... وكانت الكارثة[2]، فوجب عقد المقارنة بين الحالتين حتى لا تتكرر الكارثة مرة ثانية[3]. الجزائر في محنتها هذه في حاجة إلى إعانة عربية فعالة أي فتح أبواب التطوع لنصرتها[4]. أما السكوت والتردد والتخاذل أمر مرفوض جملة وتفصيلا[5]، بل انه يجب تعطيل الاحتفال الأعياد القومية والدينية إلى غاية تحرير آخر قطعة من العالم العربي من الاستعمار[6].

وإن تتجاوز دائرة التأييد للثورة الجزائرية الوطن العربي فإن الأمريكيون أحسن، وأوكد لشرعية الثورة، وهيئة الأمم المتحدة أرفع المنظمات العالمية التي يمكن من خلالها ايصال صوت الجزائر المجاهدة إلى كل العالم.

كانت مناسبة انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فرصة لإثارة قضية الجزائر. وكان كتّاب تلك الفترة يهتمون بهذه المناسبات ويعلقون عليها. فمن جهة يودون كسب التأييد الدولي من خلال الأمم المتحدة ومن

---

[1] يحيى بو عزيز، "حول ذكرى 05 جويلية 1830 : عيد بأية حال عدت يا عيد"، الصباح، 11 جويلية 1957، ص 02.

[2] الجنيدي خليفة، "رد بالجملة"، ج 2، الصباح، 04 ماي 1958، ص 03.

[3] يحيى بو عزيز، المصدر السابق.

[4] الطاهر وطار، المصدر السابق.

[5] عالم من القطر الجزائري، "إلى العلماء المسلمين"، الصباح، 05 جوان 1957، ص 02.

[6] يحيى بو عزيز، المصدر السابق.

جهة يؤكدون على أن الشعب الجزائري هو الوحيد الذي يقرر مصيره[1]، وذلك لتفنيد الادعاءات الفرنسية والتي تعمل على إظهار ثورة الجزائر بل كفاح كامل المغرب العربي على أنه مستوحى من الخارج "... فالمحاورون الأكفاء ليسوا التونسيين، أو المغاربة، أو الجزائريين، إنهم موجودون في القاهرة، موسكو، براغ، لندن، نيويورك ومدريد..."[2]. والهدف من هذه المغالطات التشكيك في مشروعية الثورة، ومصداقية تمثيلها للشعب الجزائري، ومن ثمّ كسب تأييد الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ورائها "العالم الحر" الذي تتزعمه للطروحات الفرنسية. هذه المزاعم رفضها الجانب الجزائري[3] لأن "... ثورة الجزائر ثورة شعب كامل بأسره، لا ثورة أفراد معدومين..."[4]. شعب يملك إيمان بأن "... مطلبه تقره جميع العقول والضمائر والشرائع"[5] لأنه على حق. وتساءل الجزائريون "... أليست بطولة الشعب الجزائري وصموده في الكفاح من أجل الحرية والكرامة والسلام، هي التي دفعت خروتشوف لأن يهتم بالقضية الجزائرية اهتماما بالغا ويكثر الحديث عنها[و] جعلت كل شعوب افريقيا وآسيا يقومون بضجة عظمى، تقيم الدنيا وتقعدها..."[6] فعلى فرنسا خلق أعذارا أخرى لاستجداء عطف امريكا.

---

[1] إبراهيم زعبوب، "الجزائر وعدالة مجلس الأمن"، الصباح، 26 جويلية 1956، ص 03.

[2] Eugène GUERNIER « La question de l'Afrique du Nord : La situation au Maroc » in les problèmes d'Afrique du Nord. « L'académie des sciences coloniales », séances des 6 et 20 janvier, 3 et 24 février 1956, T. XVI, p 20.

[3] محمد الشريف القراوي، "الجزائر تستوحي سياستها من الخارج"، الصباح، 04 ديسمبر 1956، ص 02.

[4] محمد الشريف القراوي، "قضية الجزائر وهيئة الأمم"، الصباح، 02 ديسمبر 1956، ص 02.

[5] بوعلام ابن زرقة، "شعب عاهد الله... وشعب عاهد الشيطان"، الصباح، 12 جوان 1956، ص 02.

[6] حمادي بغريش، "الجانب المنهزم"، الصباح، 05 افريل 1958، ص 02.

لقد عرف الجزائريون قيمة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الغربي فتأجج الموقف منها بين التنديد لتساهلها مع فرنسا، ومساندتها بسلاح الحلف الأطلسي وعدم كف يدها عن الشعب الجزائري [1] وبين الأمل في ان تتدخل في الأمم المتحدة لصالح القضية الجزائرية [2]، فقد كان لتصريحات عضو مجلس الشيوخ جون كيندي التي وصف فيها فرنسا بالجانب المنهزم وتوقع فيها استقلال الجزائر [3]، صدى طيب في نفوس الجزائريين، لكن تطلعاتهم بقيت على مستوى الأماني ولم تترجم إلى أفعال ومواقف في الأمم المتحدة.

اعتمد الجزائريون على المجموعة الإفريقية الأسيوية لتأييد دبلوماسيتهم الناشئة ورغم النكستين الأوليتين عند عرض القضية على أنظار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة برفض تسجيل القضية في جدول أشغال الجمعية العامة سنة 1955 [4]، وكذا في الدورة التالية لعام 1956 [5]، فإنه ابتداء من سنة 1957 وبعد إضراب الثمانية الأيام بدأت الأوضاع في التغيّر بأن أصدرت الجمعية العامة توصية فضفاضة تدعو فيها إلى البحث عن حل سلمي للوضعية التي تعيشها الجزائر طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة [6]. وهذا رغم عدم تسجيل القضية على جدول الأعمال اعتمادا على مبدأ عدم

---

[1] يحيى بو عزيز، نقول هذا للتذكير، الصباح، 01 فبراير 1957، ص 02.

[2] الدكتور محمد الجزائري، الدورة الحاسمة، الزهرة : 11 ديسمبر 1958، ص 03.

[3] حمادي بغريش، المصدر السابق.

[4] Annie REY-GOLDZEIGUER, op. cit, p 59.

[5] Samya EL MACHAT, les États-Unis et l'Algérie : De la méconnaissance à la reconnaissance : 1945-1962, Ed. L'Harmattan «col. Histoire et perspectives méditerranéennes », Paris, 1996, p 117.

[6] Henri ALLEG (s. dir), la guerre d'Algérie, p 438.

التدخل في الشؤون الداخلية لدول الأعضاء في الهيئة الأممية [1]. ويتهم بسبب ذلك مجلس الأمن بموالاة الطغاة، الظالمين بدل أن يكون مجلس الإنصاف المظلومين من جلاديهم [2]، إلا أن القضية الجزائرية فرضت حضورها على الأمم المتحدة بطريقة أو بأخرى إلى غاية الاستقلال، ذلك الاستقلال الذي عمل الجزائريون على التحضير له، على الأقل بالتفكير فيما بعد الثورة.

3. تطلعات ما بعد الثورة

تكرر هدف الاستقلال، في كل الكتابات التي تداولتها الأقلام في الصحافة التونسية ابان الثورة الجزائرية، لكن من ناحية ثانية كانت

فضفاضة عند الحديث عما سنفعله بعد الاستقلال، أي مجتمع سيعيش في كنفه الشعب الجزائري وأي نظام سياسي سيحكمه. الشيء الوحيد الذي فكر فيه الجزائريون هو أن يكون مجتمعا حرا وديمقراطيا يتسع للجميع، حتى الجالية الأوروبية [3] غير أنه يمكننا، ومن خلال بعض الكتابات اكتشاف طريقة تفكير الجزائريين فيما يصبون اليه بعد الاستقلال .

لقد كان الجزائريون يطمحون إلى مجتمع متعلم، يسود العلم جميع طبقات المجتمع الجزائري، خاصة وأنالوضع التعليمي كان - كما ذكرنا سابقا - مزريا، رغم كل الجهود التي بذلت من قبل الشعب الجزائري، فلا غرو أن يكتب يحيى بو عزيز عشية الاستقلال عن الموضوع، دارساإياه منذ بداية

---

[1] حمادي بغريش، "فرصة اخرى... واخيرة"، الصباح، 17 اوت 1957، ص 03.

[2] إبراهيم زعبوب، "الجزائر وعدالة مجلس الأمن"، الصباح، 26 جويلية 1956، ص 03.

[3] عبد الرحمان شيبان، "فقيد الأدب والفن الأستاذ أحمد رضا حوحو"، الصباح، 29 مارس 1957، ص 03.

الاحتلال إلى نهايته، ليخلص أن الوضع خطير جدا بالنسبة للثقافة العربية [1]، مما يستدعي التدخل بُعيد الاستقلال لتصحيح هذا الوضع المختل والمتميز بتأخر فكري رهيب [2]، لأن "... تراثنا العلمي على مجده وروعته يقول - الجنيدي خليفة - لم يعد ليجدي بذاته نفعا بل لم يعد في جملته حتى مجرد علم..." [3] - بإعطاء الأولية للحاق بالعلم الحديث، خاصة وأن العصر هو عصر "... الكبالت أفتك من القنبلة هـ)، وعصر الكواكب الصناعية، وعصر احتلال المريخ أوالقمر بعد سنوات أوأيام..." [4]. ولن يتأتى ذلك - حسب الجنيدي خليفة دائما-إلا بغربلة هذا التراث وطرح منه ما لم يعد يساير الزمن الحاضر، فتعرض بسبب ذلك إلى هجمة من "المتظاهرين بالتدين" متهمين إياه بالمروق عن الدين والكفر، فاندلعتالحرب بين الطرفين بعد لائحة الجنيدي حول رمضان التي انتقد فيها المظاهر المصاحبة لرمضان في الميدان الفكري بتقديم للقراء كتب بالية وتافهة المضمون تتحدث عن قصص رأس الغول، وبقرة بني اسرائيل إلخ... [5]. وقد انحاز له الجزائريون وناصروه، خاصة إذا كان النقد ضروريا ليزيل عن الدين ما علق به من أوهام وخرافات [6]. ويحوصل الجزائريون الأمر في قول خليفة : "إننا نريد من الدين مثل ما نريده من كل المنظمات العقائدية الفكرية أن تكون كلها في خدمة المجتمع، أن تساعدنا على التحرر الفكري والسياسي، أن تعيننا على الرقي المعنوي

---

[1] يحيى بو عزيز، "مشكلة الثقافة العربية في الجزائر"، الصباح، 14-21 جوان 1962.

[2] عبد الله ركيبي، "تأخر الفكر... في مغربنا العربي" ج 1، الصباح، 12 مارس 1959، ص 04.

[3] الجنيدي خليفة، "رد بالجملة" ج 1، الصباح، 03 ماي 1958، ص ص 02-03.

[4] المصدر نفسه.

[5] الجنيدي خليفة، "لائحة حول رمضان إلى... المسؤولين عنه"، الصباح، 15 افريل 1958، ص 02.

[6] عبد الله ركيبي، "كلمة... حول معركة اللائحة"، الصباح، 15 افريل 1958، ص 02.

والمادي، أن تساهم في خلق حضارة قومية آلية - روحية، ومن ثمّ خلق حضارة انسانية يسود فيها الرخاء والسلام والعقل كافة أبناء الجنس البشري، فإن لم نفعل واكتفينا بالقعود والتراشق بالكفر والأمنالمغشوش، فسنقرض لا محالة وسيخلفنا الأقوى الأصلح، وقد تنقرض [عندئذ] كل منظمة عقائدية وفكرية بما فيها الدين والتراث..."[1]. إذن على الجزائر أن تفصل في هذا الأمر، ثم تنطلق في دروب بناء اقتصاد وطني قوي[2].

إلا أن عليها أن تتفادى - للوصول إلى ذلك - المأزق الذي كانت تعيشه الدول العربية من خلال تحكم الأجانب في اقتصادها، لعدم قدرتها على إنتاج أي منتوج مصنع فهي مجبرة على استيراد كل شيء حتى السلاح الذي تدافع عن نفسها به[3]، بينما بجانبها اسرائيل لم تكمل عقدها الأول بدأت تمارس عملية الاختراع وامتلكت أوليات صنع القنبلة الذرية[4]، والسبب في ذلك في نظر يحيى بو عزيز - هو فقدان الحرية الشخصية والتهافت على الكراسي والجلوس على المقاهي[5]. ومن ناحية أخرى بينما تتدفق في بلاد الغرب الابتكارات المنتجة عن عمل جماعي نجد مفكري العرب والمسلمين في العصر الحاضر يشحذون قرائحهم في التفرقة بين مردة الجن وأبالسة الشياطين... ويستنزفون قوى مدخرات أمجادهم في سبيل الوصول إلى التربع على أريكة إمارة الشعر"... وفي سبيل معرفة أن الدنيا قائمة على قرن ثور"...

---

[1] الجنيدي خليفة، "رد بالجملة"، ج 1.
[2] جزائري، "الازدهار الاقتصادي لا تحققه إلا حكومة وطنية"، الصباح، 25 ديسمبر 1958، ص 03.
[3] يحيى بو عزيز، "رسالة الجمعيات" ج 06، الصباح، 06 فبراير 1957، ص 02.
[4] المصدر نفسه، الجزء الخامس، 27 جانفي 1957، ص 04.
[5] يحيى بو عزيز، "مكافحة الثقافة"، الصباح، 08 مارس 1957، ص 03.

وأن جهاز الراديو والتلفزة من حركات وأصوات الشياطين...".[1] عدم تهيئة الأرضية الاقتصادية بالبحث عن "... الوسائل التي تجعلنا نستغني عن موارد الغرب التي غزت اسواقنا... وأرهقت اقتصادنا.... وأورثت خزائن حكومتناالإفلاس والانهيار... بل وجعلت منا متسولين حقيقة، ندعو الغرب رافعين أكف الضراعة والدعاء إلى مسؤوليه، أن يملؤوا حفناتنا بفضلات أموالهم وحاجياتهم متوسلين إليهم حتى لا يقطعوا عليناأعطياتهم".[2] الاستقلال الاقتصادي أحسن ضمان للاستقلال السياسي.

وحينما تسندها دبلوماسية قوية وحيوية، ترفع صورة الوطن في السماء، وخصوصا عندما يكون لهذه الدبلوماسية تاريخ قديم مشرق [3]، يمكنها من استثماره للعودة مجددا على الساحة الدولية من جديد، باسترجاع الهيبة التي فقدت مع الاحتلال الفرنسي، ويكون الأمرأوكد إذا دعّمت هذه الدبلوماسية قوة عسكرية [4]، لحماية الاستقلال الوليد وردع الأعداء عن النيل من ترابها.

من المؤكد أن كل الكتابات، كانت تهدف إلى بناء دولة قوية، مرهوبة الجانب، لها كلمتهاالمسموعة على المستوى العالمي، وذلك بالرجوع إلى التاريخ العريق لهذه الدولة، إلا أن الهاجس هو دائما أن المحافظة على الاستقلال أصعب من استرجاعه.

---

[1] يحيى بو عزيز، "رسالة الجمعيات" ج 6.
[2] يحيى بو عزيز، "مكافحة الثقافة"، الصباح، 08 مارس 1957، ص 03.
[3] يحيى بو عزيز، "علاقات الجزائر الدولية قبل 1830"، الصباح، 15 جويلية 1962، ص 04.
[4] يحيى بو عزيز، أضواء على تاريخ البحرية والأسطول الجزائري"، الصباح، 05 أوت 1962، ص.04.

الخاتمة:

كانت الفترة المدروسة الواقعة بين 1947-1962 الفترة الأخيرة من الوجود الاستعماري بالجزائر، تميزت بازدياد الوعي الوطني بوجوب نهاية الاستعمار،لأنه في نظر المعاصرين لتلك الفترة سبب البلايا التي يعرفها القطر الجزائري.

إن من كتبوا في هذه الفترة - في الصحافة التونسية - من الجزائريين، سواء ممن كانوا يعيشون في تونس أو ممن كانوا يراسلونها من داخل الجزائر لم تقل جرأتهم ووعيهم بالأوضاع التي تعيشها الجزائر - بدون إهمال امتداداتها الطبيعية من مجال مغاربي وعربي واسلامي، وإن كان التأكيد على المجال المغاربي كبيرا نظرا لأهميته في عملية التحرير قبلا وبعدا - عن باقي المنادين بحرية الجزائر وحتى أنك لتعجب من بعض المقالات كيف عرفت طريقها للنشر وهل تعجب ممن كتبهاأم من الجريدة التي نشرتها ؟

طبعا كان للوضع في الجزائر الحيز الأكبر من هذه الكتابات، فقد كان تتبع دقيق لما يجري في الجزائر، لوضع الجمهور التونسي في الصورة قصد كسبه إلى جانب شقيقته المعذبة[1].

كتب الجزائريون قبل الثورة وإلى غاية 1955 عن كل شيء.

---

[1] مراسلة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

عن الجانب السياسي كانت الكتابات تنديدا بالاستعمار والانتخابات المزورة التي استحقت اسم "الانتخابات على الطريقة الجزائرية" وأضحت علامة على كل انتخابات غير نزيهة، الشيء الذي يؤدي إلى الحديث عن الحرية، عن الديمقراطية والتساؤل عن وضعها في ظل النظام الاستعماري. لقد أظهرت هذه الكتابات ما كان يعانيه المجتمع الجزائري من ظلم وطغيان جعلته ييمم نحو وحدة الفعاليات السياسية الجزائرية كشرط أساسي لتحرر الجزائر، ثم الوحدة المغاربية وبعدها الوحدة الاسلامية كهدف نهائي للتموّقع ما بين القوتين العظمتين حينذاك.

عن الجانب الاجتماعي، اهتم الجزائريون بالأدواء التي تنخر المجتمع الجزائري. فقد نددت هذه الكتابات - وهي لأقلام إصلاحية - ببعض العقليات المتخلفة المتشددة في شروط الزواج والمهور مع حالة الفقر التي يعيشها المجتمع الجزائري مما يخلّف آفات لم يعرفها المجتمع من قبل. إنها ظاهرة العنوسة التي تؤدي بدورها إلى آفة الزنى وهي لكبيرة في مجتمع محافظ كالمجتمع الجزائري. وطالبت هذه الكتابات بتعليم البنت الجزائرية لإخراجها من حالة الجهل التي تعيشها، وطالبت أيضا بتحريرها من قيودها، مما جعل الصدام مع المعارضين لهذه الدعوات لا مفر منه. ومما يحسب لهذه الحركة المطالبة بحرية المرأة هو مشاركة بعض النساء فيها حيث سُمح لكتاباتهن بالظهور في الصحافة التونسية فمنهن رئيسة الجمعية والتلميذة. كان المجتمع الجزائري يتحرك نحو حريته ووعيه بأن تعطيل نصف طاقاته، هو تعطيل لمسيرته للتخلص من السيطرة الأجنبية.

عن الجانب الديني والعلمي : هو الموضوع الأهمالذي تراكمت فيه المقالات، نظرا لأهميته في الحفاظ على الهوية الجزائرية فكانت هذه الكتابات انعكاس لما يعتمل في الجزائر لمقاومةالتغريب والعمل الممنّهج لضرب هوية الجزائري.

كان التنويه بأعمال جمعية العلماء ورجال جمعية العلماء جزء من عمل لإحباط تلك الخطة الرهيبة لمسخ الجزائري عن أي فكرة للانتماء لا ندعي أن من كتبوا كانوا يقصدون بذلك عملا منهجيا، مخططا له، لكن نظن أن العبرة بالنتائج الحاصلة.

دور جمعية العلماء كان أساسيا من خلال عملها على المحافظة على التعليم العربي وتضحياتها في هذا المجال، مما يؤهلها للتكلم باسم الشعب الجزائري للمطالبة بإطلاق الدين الاسلامي وأوقافه للمسلمين على غرار ما تتمتع به المسيحية واليهودية، وقد بالغ الاستعمار في تدخله في كل كبيرة وصغيرة تخص الشعائر الاسلامية بتحديد مواعيدها وحتى التلاعب بها. ففي عام 1948، لم يتم تحديد هلال ذي الحجة إلى اليوم التاسع منه، مما أوقع الشعب في حيرة من أمره، فكانت صورة مبكية، مضحكة لشعب كأنه ملل ونحل، بعضه اضطر معها إلى الصلاة والتضحية مرتين، واحدة سرية وأخرى علنية وراء الإمام الرسمي-والويل لمن ضبط يؤدي الشعيرة سرا؛ قمة الظلم التدخل في اعتقاد الإنسان بالإكراه.

لم تهمل هذه الكتابات اللغة العربية باعتبارها الركن الثاني في أساس الهوية الوطنية فأوضحوا مدى الظلم المسلط عليها، حين تعامل في بلادها كلغة أجنبية يحجّر تعليمها، وصوّروا لنا وضعية معلمي المدارس الحرة لتعليم

اللغة العربية، فهم يعاملون كالجناة، بل أن الجناة قد تأخذهم رحمة القاضي الاستعماري لكنها ما جريت أن تأخذ معلم اللغة العربية.إنها حالة مأساوية لتعليم عربي يحاول أن يقاوم، ويقف على رجليه وهو أعزل إلا من عزيمة شعب، يحاول أن يتشبث بجذوره الكل حسب مقدوره وفهمه.

كان للطلبة نصيبهم الأعظم من هذه الكتابات لإسماع صوت الجزائر. فبسطوا قضيتهم ووضعيتهم المعيشية السيئة بتونس ومختلف خطواتهم قصد تحسينها. وفي نفس الوقت الحديث عن المشاكل التي تعترض المتخرج من الجامع الأعظم حين العودة إلىالجزائر سواء فيما يخص العمل وعدم تكيّف ما يتعلمه في الزيتونة مع الواقع. وهنا تحدث للطالب أزمة نفسية، أزمة اختيار والاختيار ضيق وحتى الزواج بالنسبة له مشكلة في هذه الوضعية. وهذا لم يمنع الطلبة من المشاركة مع إخوانهمالزيتونيين في النضال من أجل القضية الزيتونية لتطويرها وإدخال الاصلاحات الضرورية على التعليم الزيتوني. وإن غابت الكتابات حول الأحداث التي كانت تعتمل في تونس سنوات 1952-1954، فلا نخال ذلك إلا بسبب الإرهاب الذي سلطته السلطات الاستعمارية على تونس، ولم تستثن منه أحد.

الملاحظ في هذه الفترة أن هذه الكتابات تقاسمها تياران وطنيان كبيران، مؤيدو جمعية العلماء من جهة، ومؤيدو حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من جهة أخرى.

وبينهما تقاسم للأدوار - وإن بطريقة غير كاملة - فمؤيدو جمعية العلماء، أغلب كتاباتهم كانت عن جمعية العلماء وعملية الاصلاح، وعن

شخصيات من العلماء، أما مؤيدو حركة الانتصار فكان عن الجانب السياسي من القضية الوطنية.

في الشقّ الثاني من الفترة التي ندرسها المحصورة بين 1955-1962 يمكن أن نلخصها في كلمة الثورة، ثم الثورة ولا شيء إلا الثورة.

تبدأ الكتابات الخاصة بالثورة بالظهور ابتداءً من سنة 1955، بصورة محتشمة لتحاول أن تموّقع الثورة في الوعي التونسي بمواجهة الإعلامالاستعماري، لنفي صفة الفلاقة وقطاع الطرق عن المكافحين الجزائريين التي ألصقتها بهم وكالة الأنباء الفرنسية التي كانت تستقي منها الصحافة التونسية أخبارها عن القطر الجزائري، فكان لا بدّ من تدخل البعض من الجزائريين - سواء هنا بتونس أو من داخل الجزائر حينما كان البريد ما يزال ممكنا - لتصحيح هذه الأنباء ووضعها في سياقها الحقيقي.

أظن أن الخلاف الوحيد والذي نشرته الصحافة التونسية هو الموقف من اتفاقات الحكم الداخلي والتي اعتبرت ضربة في ظهر الجزائر التي بدأت ثورتها لتوها فكيف لجناحي المغرب العربي أن يرفرفا في حين أن القلب مازال جريحا. وحجتهم في ذلك أن أيقاف القتال في جناحي المغرب العربي، يطلق يد فرنسا في الجزائر لتركز كلّ جهوده الإجهاض ثورة الشعب الجزائري، بأقل التكاليف بينما إذا نجحت الثورة فإنه يكون بعد دفع ثمن باهض جدّا ووقت أطول مقارنة لو كانتالثورة عامة في المغرب العربي. كما أن استقلال البلدين الناقص، ستتراجع عنه فرنسا بمجرد القضاء على ثورة الجزائر لتعيد سيطرتها على البلدين الثلاث كأشد ما تكون السيطرة.

مابين 1956 -1958 انفجرت الكتابات على صفحات الجرائد التونسية خاصة بعد استقلال تونس في مارس 1956، وليس معنى ذلك أن الجزائريين عزفوا عن الكتابة عن الثورة وإنما لأن وسائل النشر لم تكن قادرة على تمرير إنتاجهم. كما صرح لي بذلك الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي.

يتحمل طلبة الزيتونة العبء الأكبر من عملية الإشهار للثورة، بعد أن انقطع ورود البريد من الجزائر والتي أصبحت سجنا كبير الأكثر من ثماني ملايين جزائري، كماأنه في نفس الوقت حجر دخول الصحف التونسية الدخول إلى الجزائر. لقد تحول هؤلاء في هذه الظروف إلى مايشبه البعثة الإعلامية؛ تفضح المناكر المرتكبة في الجزائر من طرف الجيش الاستعماري وأعوانه. كانت هذه المقالات تعرّف بالثورة، تشهّر بالجرائم الفرنسية، تنوّه بجنود جيش التحرير الوطني، تحرّض على الالتحاق بالثورة وترد على الدعاية الفرنسية، وتدعو إلى التضامن العالمي مع الثورة الجزائرية.

بالمختصر لم يعد أي صوت يعلو على صوت الثورة الجزائرية إلا بعض الاستثناءات خصوصا المعركة القلمية التي فجّرها الجنذي خليفة بلائحته 'حول رمضان'، وشارك فيها عدد من الأقلام الجزائرية دفاعا عن الجنيدي بعد الهجوم الذي تعرض له. وكانت هذه المعركة إحدى المناسبات القليلة التي كشفت لنا - بطريقة ضمنية - عن تطلعات الجزائريين بعد الثورة.

إنه الوعي بالذات، وبالانتماء إلى أمة وشعب يكافح من أجل حريته، يصبح التصنيف بعده في خانة الجنسية الفرنسية معرة وخيانة لايقبلها

الجزائريون المقيمون بتونس فتبرؤوا من نعت فرنسي مسلمٌ في أول استقلال تونس ورجوا حكومة الاستقلال الأولى اعتبارهم جزائريين وكفى.

ابتداءً من سنة 1959 تقل الكتابات الجزائرية في الصحف التونسية (خصوصا في جريدة الصباح). وقد رجحت أن يكون السبب في ذلك ظهور جريدة المجاهد بطريقة أو بأخرى حبطت عزيمة كتّاب المقالات وهم يرون المجاهد ناطقا رسميا باسم الثورة الجزائرية تؤدي المهمة بدلهم أو ربما لتوزعهم على هياكل الثورة. فالبعض منهم التحق بالجبال والبعض سافر في بعثات جبهة التحرير إلى الخارج لإكمال الدراسة وغيرها من المهمات التي كلفتهم بها الجبهة [1].

الملاحظ أن الصحافة التونسية أدت الأمانة بخدمة القضية الجزائرية إن قبل الثورة أو بعدها. وان كان قبل الثورة أوكد وادعي للإعجاب والتنويه، لأن سيف الظلم والإرهاب كان مسلطا على الجميع. لقد وصل في بعض الأحيان وعند محاولة تحديد هوية بعض المقالات غير الممضاة أنه صعب بل استحال علي تحديد نسب المقال، هل هو لتونسي أم لجزائري. وذلك لالتحام الشعبين في الضراء كما في السراء.

[1] لقد حاولت الاستفسار عن هذه النقطة من السيد احمد يزيد باعتباره مسؤولا عن قطاع الاعلام في الحكومة المؤقتة لكن لم أتلق ردا على الفاكس الذي بعثته له بتاريخ 5 ماي 1999.

الفهرس